

شرح رسالة:

# سِمَاتُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْفِتَنِ وَتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ

معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

اللقاء الأول

شرح أ. أناهيد السمييري

ألقي في ٢٧ شعبان ١٤٣٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السمييري حفظها الله، وفق الله بعض الأخوات لتفريغها، وسمحت لهنّ الأستاذة بنشرها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تُنشر في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

[/!#/http://tafaregdros.blogspot.com](http://tafaregdros.blogspot.com)

تنبيهات هامة:

– منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

– هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

[/http://www.muslimat.net](http://www.muslimat.net)

– الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضا.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إن شاء الله يكون لقاءنا اليوم وغداً قراءة رسالة الشيخ الصالح بعنوان (سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال)، وهذه الرسالة يَخَصُّ بها الدعوة عامة، والذين هم على المنابر خاصة الذين يواجهون الناس.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

#### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

والحمد لله كثيراً على ما أنعم علينا كثيراً من العلم الذي لا ينقطع عن هذه الأمة.

والحمد لله على ما أنعم علينا بحفظ هذا الدين وبحفظ أسسه وأصوله.

وأشكره - جل وعلا - وأسأله - سبحانه - أن يمنحني وإياكم العلم النافع عند حلول الشبهات،

والبصرَ النافذ عند إقبال المشتبهات.

وهذه أمرين في غاية الأهمية وهو "العلم عند حلول الشبهات والبصر النافذ عند إقبال المشتبهات":  
لأن:

■ الذي يُخْرِج من الشبهات هو العلم

■ والذي يبيِّن لك المشتبهات -التي تحتاج إلى تمييز- هو البصر.

فأحياناً يكون عندك علم، لكن اشتبه عليك الأمر فلم تعرف هذه المسألة على أي قيد تقيّد وعلى أي حمل تحمل، فما تستطيع أن تنتفع من علمك، على ذلك ما تستطيع أن تنتفع بعلمك إذا لم تأت هذه المشتبهات إنما نفع الله لك بالعلم أن يصبح عندك بصر نافذ، المقصود به البصيرة وهي من الكلمات المتبادلة.

وأشكر أصحاب الفضيلة والخطباء على حرصهم على ما يقضي به العلم الصحيح، والمنهج السليم، وما

يقوله أهل السنة والجماعة بما فهموا واتفقوا عليه من نصوص الكتاب والسنة.

والله أسأل للجميع المزيد من العلم والفقهِ، وأن يثبتنا على ذلك، ولا سيما في مثل هذه الأحوال التي تتقلب<sup>(١)</sup>

يعني من أكثر من ١٤ سنة، لكن هي نفسها التقلبات من عشرين سنة ونحن نعيش فيها، لأنه الآن يخاطب الخطباء فسيبدأ بهذا التمهيد، و الشيخ صالح هو وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف في المملكة.

تمهيد :

هذا التمهيد يقوم على ثلاثة محاور:

١ - الرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه:

أحرص على النظر الصائب الذي يوافق نظر السلف عند الاشتباه، وعند تغير الأحوال.

وَصَفَّ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رحمه الله تعالى - الصحابة وسادات التابعين بما وصفهم به، ومنها

قوله: "إنهم على علمٍ وَقَفُوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا".

قال: " على علمٍ وقفوا " فإنه يجب على المرء وبخاصة أهل العلم والتوجيه أن يقفوا على العلم.

وقوفهم يكون على العلم، فالأمر الأول أنه علينا أن نرجع للعلماء الراسخين في الفتن وفي تقلب

الأحوال.

والعلم قسمان:

(١) علم لا يدركه المرء، ويتعلمه قبل حلول الحدث، فيحيطُ به بما أعطاه الله - جل وعلا - وقد لا

يحيطُ به.

(٢) علم لم يبحته إلا وقت الحدث.

وهذا في الأغلب أنه لا يحيط بكلام أهل العلم فيه؛ لأنه لم يتعلمه من قبل.

يعني قسم العلم من جهة التعلق بالأحداث:

■ فيه علم لا يدركه المرء ويتعلمه قبل حلول الحدث، هو لا يدركه لكن تعلمه قبل حلول

الحدث، هذا في الغالب أنه يحيط بكثير من هذا العلم في هذا الأمر لماذا؟ لأنه هادئ

ويستخدمه على أنه قاعدة وليس عنده حالة من العجلة، فيأخذ الأمور ويقبلها ويسيسها

(١) أصل هذا التأليف محاضرة ألقى على الأئمة والخطباء والدعاة بحضور معالي الشيخ د . صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء؛ وذلك بمقر فرع الوزارة في الرياض . في مدينة الرياض في الأول من شهر شعبان عام ١٤٢٢ هـ .

في عقله ويقول هذا الحال يساوي هذا وهذا الحال يساوي هذا.

■ علم آخر لا يتعلمه إلا وقت حصول الحدث، هذا في الأغلب أنه لا يحيط بكلام أهل

العلم فيه؛ لأنه لم يتعلمه من قبل.

فَمَنْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُئِذٍ أَنَّهُ إِنَّمَا اطَّلَعَ عَلَى بَحْوثِ الْمَسَائِلِ حِينَ حُلُولِ الْأَحْدَاثِ فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَثِقَ بِجُودَةِ

نظره.. عليه أن يطلبَ براءةَ الذمَّةِ بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه.

كأنه يشير إلى جماعة لما تقع المهمة والمسألة وهم عندهم أدوات العلم يذهبون فيبحثون، لكن مع الأزمة والأحداث يتأثرون بالأحداث في نظرهم للنصوص.

والأمر الثاني المهم أن ضيق الزمن الذي يسبب لهم العجلة في النظر في النصوص يُخرج منهم فتوى أو نظر في غير مكانه.

فمثلاً هؤلاء يريدون أن يفتوا في شيء يتصل بالجهاد، ولم يكن لهم بحث سابق هادئ واضح لمسائل الجهاد في كتب أهل العلم حول الجهاد، ثم لا ننكر أنهم معهم أدوات العلم ويستطيعون أن يتعلموا ويعرفوا أين يبحثوا من أجل أن يصلوا إلى الحكم، لكن وجود العلم—هذا الأساس—، ووجود أدوات البحث، ووجود الكتب، ووجود الطريق الذي يوصل الإنسان إلى العلم، هذا شأن لا يعني تجاهل الوقت، والضغوط التي تكون على العبد لما يأتي الحدث ويناقش مسألة!

يعني لما يأتي الحدث ويناقش مسألة غير لما يكون هادئ وليس هناك ضغوط عليه ولا في سرعة في الزمن فهو مطلوب منه الآن يتكلم في هذا الشأن، والشأن عظيم!، هو عنده الأدوات عنده الأشياء كلها، هذه الأشياء الموجودة على اليمين لا يجعلنا نتجاهل ما على الشمال وهو أن المشاعر العواطف اتجاه المسائل التي بعينها، الوقت، هذه كلها تعتبر ضغوط على العلم. فلذلك يقول:

(٢) علم لم يبحثه إلا وقتَ الحدث.

هذا في الأغلب أنه لا يحيط بكلام أهل العلم فيه؛ لأنه لم يتعلمه من قبل.

إنما ماذا يحصل؟ يميل إلى أحد الآراء بناء على هواه، لن نقول على هواه إنما على الضغوط التي اجتمعت عليه، مع حملنا كلامهم على السلامة، لكن لو قلت أنت الآن لا تصلح تتكلم في مسألة لم تدرسها وتعطيها حقها في الدراسة؛ فالشيخ يقول من براءة الذمة ماذا نفعل؟

فَمَنْ عَلمَ من نفسه حينئذٍ أنه إنما اطَّلَعَ على بحوث المسائل حين حلول الأحداث، فيجب عليه أن لا يثقَ بجودة نظره.. عليه أن يطلبَ براءةَ الذمَّةَ بالرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه.

الراسخين مَنْ ؟ الذين بحثوا في المسائل من قبل، وهذا ليس تقليل من قيمة الناس إنما توضيحاً للعوامل المؤثرة على العلم، لا ننكر أن هذا طالب علم قد استجمع أدوات الطلب وقد استجمع أن يكون مفتي، لكن لازم تفهم هذا العامل المهم: أن علم يتعلمه قبل حلول الحدث غير علم يتعلمه بعد حدوث الحدث.

ولذلك نحن ننصح طلبة العلم أنه عندما يثيرهم مثير في مسألة معينة ويتسرعون فيقولون رأيهم في المسألة أو يحصل نقاش ويجد نفسه قد ذكر رأياً وغيره يخالفه، وهذا الرأي الذي ذكره مبني على فهم له، ننصحه أنه الآن لا يذهب إلى البحث ولا يتطلع لإظهار رأيه، إنما يترك جمرة الهوى التي قد تكون اشتعلت بسبب أنه نقاش إلى أن تنطفئ تماماً، وبعد ذلك يبحث المسألة بحثاً موسعاً ويكتب لنفسه هو ماذا خرج به من البحث.

أما بحث تحت حدث قد يصارعه فيه الهوى فهذا من أفسد البحوث على طالب العلم؛ لأن فيه انتصار للنفس، أذهب أسارع أبحث من كلام أهل العلم وأرسله! هذا العلم لا يثق بجودة نظره، وهنا في هذه المسألة حُكم بالهوى فيه.

فإذن الرجوع إلى أهل العلم الراسخين فيه عندما يحدث الاشتباه وما يثق طالب العلم أنه عنده أدوات النظر فينظر ويأخذ هو القرار، إنما هذا من نفحات الشيطان أن يجعلك تنظر وتقول أنا عندي أدوات النظر فيتخلى عن كلام الراسخين، خصوصاً عندما يجتمع مع ذلك تهممة للراسخين، عندما يكون فيه تهممة للراسخين وشعور أن أنا عندي الأدوات غالباً تزل القدم.

📌 الأمر الأول في الفتن : نلجأ إلى أهل العلم الراسخين.

## ٢- المسجد في الإسلام للعبادة والعلم:

📌 الأمر الثاني : المسجد في الإسلام للعبادة والعلم، وليست ساحة للسياسة.

وقيسي عليه خلق الطلب والعلم وحفظ القرآن، وقيسي عليه كل أنواع الاجتماعات التي هي على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، سأذكر ما ذُكر وفي آخر الأمر نرى الكيد الذي يصير لنا واختيار الأزمنة المقدسة للمسلمين لإشغالهم عن الطاعات، فانتبهنا من الجمعة وتحولنا الآن إلى مطلع رمضان، فهذا كله لازم يُفهم أنه أسلوب من أساليب التسييس في تضييع دين الخلق، فتتحول المساجد إلى هذا الاتجاه البعيد عن الدين، يتحول ممارسة الطاعة إلى هذا الاتجاه المشتت، ويتحول الاستعداد للدين إلى هذا الاتجاه أيضاً المشكك.

ولذلك أهل الفتن لديهم حرص أن الحج يُسيّس كما يفعل الروافض، فيأتوا يهتفوا في الحج بإسقاط أحد في بلدهم أو بنصرة شيء سياسي، الآن معلوم حتى عند أهل الديمقراطية أن تسقيط أحد -إعلاؤه أو تسقيطه- لا يكون إلا في بلده، ممنوع أن يكون في بلد آخر، وهذا تعدي على حرية البلاد وعلى قوانينها، فتأتون في موسم مثل موسم الحج وتُسقطون رئيس دولة أو تسقطون مفهوم ثم يدخلون النفق والمسلمين معهم، طول النفق المشاة يربعون المسلمين بالصراخ، لما يخرجون على الجهة الثانية من النفق مثلاً ممكن أن يجدوا جنود الدولة ينتهوا! جنباء.

فهذه نوع من أنواع التسييس الخطير، يشتتون الناس، يخيفوهم، كل من كان معهم في النفق يكون عنده مشاعر خوف أن هؤلاء ممكن أن يفعلوا فيهم شيء! مشاعر تشتت لدينهم، هم في شعيرة رمي الجمرات، الذاهبين إلى مزدلفة، في الشعائر (شعيرة الجمعة، شعيرة الحج، قُرب رمضان) يحصل هذا! ومنه المساجد نفسها، حتى أماكن الشعائر بسبب هؤلاء أهل الفتن يختلط عليهم ما هو المقصود!

### إذن ماذا يقصد من هذا المحور؟

أن المسجد له مهمة في الإسلام، وحلقات التحفيظ لها مهمة في العلم، ومواسم الطاعة لها مهمة في بناء إيمان الإنسان، فلا يعزّك الشيطان فتأتي في مواسم الطاعة أو في الأماكن التي جعلها الله في الطاعة أو في الأزمنة المقدسة، ويجتمع الزمان والمكان وتجد نفسك تفعل فعل غير المطلوب منك!، وتنسى هذه الأماكن لماذا وجدت، وهذا مما يشعل الفتن.

عندما يتكلم الناس في السوق عن الفتنة، وفي المسجد الذي ينتظر أن إمامه يخطب فيما يزيد الإيمان، تجده يخطب في أمر ليس له علاقة بالإيمان ولا بزيادته! وانتصار لأحد أو حث على شيء، كله يتصل بأمر الدنيا أو بأمر الفتنة! مع أن الفتنة لها طرق يخرج بها الإنسان ويصبح صاحب بصيرة، والشيخ سيتكلم عن هذه الطرق إن شاء الله.

فلماذا تبه على المسجد؟ لأن المسجد الذي هو مكان العبادة يجب أن لا يُشعل بغير العبادة، حلقة التحفيظ التي هي مكان ذكر الله لا يُذكر فيه غيره، أنت تدعو إلى الله، لا تعظم غير الله وغير رسوله، عظم الله عظم رسوله عظم كتابه، أخبر الناس كيف يعودوا إلى الله، وهذا كله يُسبب لنا كشف الفتنة، لكن الخوض في الفتنة في هذه الأماكن المقدسة والأزمنة المقدسة والأوضاع المقدسة لا يعطي الفتنة إلا زيادة اشتعال!.

فلا بد أن نتنبه أننا محتاجين لنزعهم من الفتنة، إنزع منهم فتيلة الفتن، لا نشعلها ونعطيهم آراء ونغمز إلى معاني، فهذا كله لا يليق.

## ٢- المسجد في الإسلام للعبادة والعلم:

ومهمة المسجد في الإسلام ما يلي:

(١) أنه مكانُ عبادةِ الله - جل وعلا - .

(٢) أنه أعظمُ ما يجبُ أن يُحقَّقَ فيه دينُ الله - جل وعلا- بكماله.

(٣) تقامُ فيه الصلواتُ المفروضةُ.

(٤) يكون فيه نشرُ الخيرِ، وتعليمُ الجاهلِ.

(٥) يكون فيه الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكر. على وفقِ ما تقتضيه الشريعةُ.

(٦) تقام فيه الخطبُ النافعةُ.

والخطيب قائم فيها مقامَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ولهذا تَعْظُمُ التَّيْعَةُ بِعَظْمِ المنصبِ والمسؤوليةِ.

ومن أشدَّ من يُعَذَّبُ يومَ القيامةِ - كما جاء في حديث البخاري - فيمن رآهم صلى الله عليه وسلم ليلة عُرِجَ

به، الخطباءُ الذين لم يوافقوا أمرَ الله سبحانه وتعالى، وأمرَ رسوله، فرآهم يعذبون بأنواعٍ من العذاب<sup>(١)</sup>.

(٧) الإمامُ يقومُ فيه مقامَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم في أداء هذه المهمة؛ لأنَّ أصلَ الإمامةِ للنبيِّ صلى الله عليه

وسلم ولئن أنابهُ - عليه الصلاة والسلام - أو كلفهُ، والإمامةُ لولاةِ الأمورِ في ذلك عند كثرة المساجد.

فإذاً الواجبُ على الأئمةِ والخطباءِ أن يحققوا منهج السلف، وأن لا يُعَرِّضُوا أنفسهم والمسلمينَ إلى ما فيه

العقوبةُ.

(١) أورده ابن حجر في "فتح الباري" في شرح (كتاب مناقب الأنصار - باب حديث الإسراء) (٧ / ٢٠٠) ط السلفية؛ حديث أبي هريرة عند الطبراني والبيهقي قال: مرَّ بقرى تفرس ألسنتهم وشفاههم، وكلما فُرِضَتْ عادت. قال -القاتل: جبريل عليه السلام-: هؤلاء خطباء الفتنة. ومر بثور عظيم يخرج من ثقب صغير يريد أن يرجع فلا يستطيع. قال -القاتل: جبريل عليه السلام-: هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم فيريد أن يردها فلا يستطيع.



العقوبة يقصد من الله، يعني هو يتكلم وهم سيردّوا كلامه فيصبح هو الخطيب الذي يقرض لسانه وهم يصبحون كالثور الذي يقول كلمة ويندم فيها.

إذن الأمر الأول أنه علينا أن نرجع الى أهل العلم والراسخين.

الأمر الثاني أن المسجد في الإسلام هو للعبادة وللعلم، نعلمهم عن الله يعبدون الله.

### ٣- الحذر من البغي والتأويل:

أَحذَرُكُمْ وَأَحذَرُ جَمِيعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْبَغْيِ وَالتَّأْوِيلِ؛ لِأَنَّهُمَا الْأَسَاسُ فِي الْفِرْقَةِ وَالْفِتْنَةِ وَالبِغْضَاءِ بَيْنَ أَفْرَادِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

ويجب السمع والطاعة لولي الأمر؛ لما في ذلك من سدّ للذرائع.

البغي والتأويل هذا أمر معلوم، يعني يبغى على الناس في التهم ويأول بعض أفعالهم وبعض ما صدر منهم، ويأول أحياناً النصوص في حقهم، كل هذا في البغي والتأويل.

وبعد فيا أيها الإخوان:

فإن للمؤمنين سماتٍ عليهم أن يتخلّقوا بها، وهي:

نبدأ السمة الأولى في وقت الفتن :

السمة الأولى:

الابتعاد عن الغضب والاستعجال

إن المرء إذا غضب في حال الأمن فإنه قد لا يدرك الصواب، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((لا يقضي

القاضي حين يقضي وهو غضبان))<sup>(١)</sup>

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على هذا الحديث:

<sup>(١)</sup> البخاري الأحكام (٦٧٣٩)، مسلم الأفضية (١٧١٧)، الترمذي الأحكام (١٣٣٤)، النسائي آداب القضاة (٥٤٠٦)، أبو داود الأفضية (٣٥٨٩)، ابن ماجه الأحكام (٢٣١٦)، أحمد (٣٧/٥).

<sup>(٢)</sup> أخرجه " البخاري " في " صحيحه " في (كتاب الأحكام - باب هل يقضي القاضي أو يُعتق وهو غضبان) انظر فتح الباري (١٣ / ١٧٠) ط دار السلام . و " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب الأفضية - باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان) برقم ٧٦٢ ط دار السلام . و " أبو داود " في " سننه " في (كتاب القضاء - باب القاضي يقضي وهو غضبان) برقم ٥١٥ ط دار السلام . كلهم من حديث أبي بكره رضي الله عنه .

إن هذا الحديث يشمل القضاء في المسائل العلمية، وفي المسائل العملية، فالغضب - ومثله الحال التي تقلق الذهن وينفعل معها المرء - لا ينبغي له بل هو منهي أن يقضي في المسائل العلمية وهو على هذا النحو من الغضب، فإذا كان القاضي كذلك في مسألة بين متخاصمين فإن الكلام في المسائل العملية أبلغ، وإن الكلام في المسائل التي تهم الأمة حينئذٍ أبلغ.

يعني هذا وهم في حال الأمن، واحد غضبان في حال الأمن ماذا يكون؟ حكمه وقضاؤه غير مقبول، فكيف لما يكون في حال الفتنة؟! لما يغضب في حال الفتنة سيكون حكمه وقضائه أشق! فهذا القاضي في المسائل بين متخاصمين يعني أقصى حد يحصل فيه خلل يُظلم هذا ويؤخذ هذا مكان هذا، لكن لما يقضي في مسألة تم الأمة ويخطئ ويكون قضاؤه مبني على غضبه؟ إذن ستهلك من ورائه أمة.

ولهذا كان من سمة منهج السلف الصالح من الصحابة والتابعين فَمَنْ بعدهم من أئمة الإسلام أنهم لم يستعجلوا حين استعجل الناسُ فيما ليس لهم.  
قال عمرُ بنُ عبد العزيز - رحمه تعالى - في وَصْفِ الصحابة والتابعين: "عليكم بآثارهم فإنهم على علمٍ وَقَفُوا، وببصرٍ نافذٍ كَفُّوا".

هذه الصفة غاية في الأهمية "عدم العجلة"، يعني تندم على أنك ما تعجلت خير من أنك تندم على أنك فعلت ما لا ينبغي! ندمك على عدم التعجل خيراً من ندمك على فعلك ما لا ينبغي بغضب. ويبقى الثقة أن القوم لما توقفوا وكفوا وإنما فعلوا هذا ببصر نافذ، فأحياناً تأتي كلمات يتداولها الناس دون أن يشعروا، مثلاً في الأحداث الآن حولنا في سوريا - نسأل الله أن يرفع عن إخواننا ويكتب لهم أجورهم في الصبر ويبدل حالهم إلى خير حال - وهذه مسؤوليتنا أن ندعو لهم، يأتي أحد يحرك ساكن، يقول نحن لا نعرف ما نهاية سكوتنا!، لا نعرف كيف نهاية مصيرنا! وكيف أننا سيعاقبنا الله على سكوتنا على ما فعل بهم!

هذا الكلام فيه ثلاثة مسالك :

المسلك الأول: أنه يجب عليك أن لا تسكت. إذن ماذا يجب عليك؟ عليك أن تدعو، والدعاء هو خير دليل على توحيدك، فإن توحيد العبد يظهر في مثل هذه المواقف؛ لأن شعور العبد أن النصر لا

تكون إلا حسية وما تكون من الله هذا شعور يُضعف الإيمان! لا يشعر مثل هذا إلا ضعيف الإيمان، وإلا المؤمن حق الإيمان يعلم أن العدة والعتاد لا شيء أمام نصر الله.

فمن كان بالله مؤمناً، اكتفى به وكبلاً.

إذن:

المسلّم الأول في الكلمات التي يرددونها: صممتا تجاه الأحداث، هذه النقطة الأولى وهي دليل على ضعف الإيمان.

المسلّم الثاني: أن هذه الإشارات وهذه الكلمات تضعف معنويات المسلمين وتجعلهم يشعرون بالخذلان، فالأولى منها حث المسلمين على نصره الدين بالرجوع إلى الله، أولى من هذه الكلمات أن

نرجع جميعاً إلى الله، نتوب جميعاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ الرعد: ١١

المسلّم الثالث المهم: أن بُعد هذه الكلمات فيها نوع من أنواع الطعن في العلماء والأئمة، وهذا الطعن وراءه فقدان الثقة التي تُسبب شتات المسلمين، وسنرى هل هذا هو رأي أم منهج شرع في الإسلام؟.

ننظر في مصاحفنا أواخر سورة يونس التي فيها قصة موسى عليه السلام، ونرى نحن بأي شيء مأمورين، وما معنى "على علم وقفوا وبيصر نافذ كقوا"؟

قصة موسى وهارون مع فرعون، نبدأ من آية ٨٣ القصة من أولها حوار بين موسى و فرعون وموقفهم أنهم ردوا الحق :

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا أَمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ

فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ

إِن كُنتُمْ مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَجَنَّا

بِرَحْمَتِكَ مِّنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بَيْوتًا وَاجْعَلُوا

بِئُوتِكُمْ قِبَلَةً وَأَقِمْو الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ يونس: ٨٣ - ٨٧.

ندرس هذا المقطع من السورة من القصة ونرى بماذا أوصى الله عز وجل موسى.

موسى بماذا أوصى قومه؟ بماذا أمر الله عز وجل؟ نرى ومن ثم سيُشكّل لنا منهجاً.

عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه قال: "عليك بثأرهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا"، نرى أول الأمر آمن هؤلاء الذرية من قوم موسى وحالهم أنهم على خوف من فرعون.

الله وصف فرعون أنه عالٍ في الأرض وإنه لمن المسرفين: معناها أنه كما تعلمون قد بلغ الحد في الطغيان، طغيان تاريخي، آمنوا على خوف.

هل يحق لهم الخوف؟ نعم، الله عز وجل علّل لهم الخوف ﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ الخوف الذي هم فيه معناه أن فيهم ضعف، قال موسى مؤتماً بأمر الله: ﴿يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ﴾ أنتم مؤمنين ماذا مطلوب منكم؟ ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾، إذن هناك أمر يجب علينا القيام به، وهو التوكل على الله.

ما نأتي في الأحداث ونجد أننا ضعفنا في أعمال القلب وأعمال الجوارح، ولا نأتمر بها، هذا دليل على أن الإنسان لم يكن عنده من الإيمان والإسلام ما يجعله في الأزمة ينتفع؛ انظري لبداية الآية ونهايتها:

﴿يَقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامِنُمْ بِاللَّهِ﴾ إذا كنتم مؤمنين حقاً ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ فأحيط التوكل بوصفين الإيمان والإسلام.

معناه إذا أتت المواقف ولم تكن شواهد على الإيمان والإسلام، فهذا دليل على ضعفه أو إنتفائه؛ لأنه أحيط التوكل بهذين الأمرين.

هم الآن استعملوا أمرين:

١. فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا : قِيلُوا الأمر بالتوكل، عندما تقولون لنا توكّلوا، توكّل؛ لأن عدم قبول التوكل دليل على ضعف الإيمان والإسلام.

٢. رَبَّنَا لَا جَعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ : الأمر الثاني الذي عاجلوا به موقفهم: الدعاء.

وهذا المنهج ليس منهج الجبناء، ليس منهج الهاربين من مواجهة الأعداء، هذا منهج من يعرف ما الحال الحقيقية التي يعيشها، تعامل الله بالتوكل عليه وتعامله بالدعاء، تأتمر بالأمر.

إذن بماذا دعا قوم موسى عليه السلام؟

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

بماذا أوصى الله عزّ وجلّ نبيّه موسى صلى الله عليه وسلم؟

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ : يعني لا ثورة ولا حتى الإذن بالخروج، الخروج يعني على ولي الأمر أو الخروج

حتى من البلاد، انظري للأفعال التي أمروا بها: ﴿ أَنْ تَبْوَءَا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ

قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾

تَبْوَءَا : يعني اذهب نخذ لك مكان واجلس، لا تفكر في الخروج، ولا الهروب، ولا الثورة، ولا المواجهة،

ولا أي شيء من هذا الكلام. ماذا تفعل؟

﴿ وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ يعني في بيوتكم صلوا؛ لأنهم كانوا لا تقام

صلاتهم إلا في البيع، ليس مثل المسلمين ألقوا

ثم في الأخير يقول لهم ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني لا يسمح في هذا الوقت بتخذيل المسلمين، بل

أمرهم بالتوكل، لا تفقدتهم الثقة في علمائهم، بشر المؤمنين.

ولا أحد يقول لأحد: ماذا سيحصل بسبب سكوتنا! أصلاً أنت من سواء سكّت أو تحركت! الذي

يجب عليك الآن نشره : أمر الناس بالتوكل، أمر الناس بالدعاء، فهذه محن يختبر الله عز وجل بها حال

العباد. إذن المنهج : ثلاثة وصايا:

■ عبادة قلبية: التوكل.

■ عبادات بدنية: الدعاء والصلاة.

■ البشارة.

نرى في الأعراف آية ١٣٧ لكي ينتهي الأمر بوضوح، أن هذا المنهج ليس منهج المخذلين الخائفين الجبناء أو كما يقولون تسييس الفتوى، إنما هؤلاء القوم "على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا".

أيضاً في سياق قصة موسى وفرعون، بعد ما انتهت القصة:

﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا  
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ  
وَقَوْمُهُ، وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ الأعراف: ١٣٧

ملاحظ أن هذه الأفعال كلها لله: (أورثنا، باركنا، تمت، دمرنا).

هم ماذا فعلوا؟ ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ هذا الشاهد. إذن هذا ليس كلام الجبناء، هذا كلام من جعل القرآن هو قائده.

الابتعاد عن الغضب والاستعجال، لأن الغضب يجعل الناس يحكمون في المسائل على مجرد مشاعرهم، فيعُد أن يُوقفوا للصواب.

مثال: لو أن رجلاً قدم من بعيد -أسأل الله أن يحفظ المسلمين- فوجد في مكان فيه حريق والناس يصرخون، والدفاع المدني موجود في الأسفل ويقوم بأعمال قطع الكهرباء، ويقوم بأعمال لإطفاء الحريق لكن بأسلوب هادئ، الناس يصرخوا يستفزوه!، والدفاع المدني لازم يضع يده على الكهرباء من أجل أن تنطفئ من أجل هذا الحريق؛ لأنه لو ما انطفأت الكهرباء سيحدث ويحدث... إلى آخره من تفاصيل؛ هذا جاء من بعيد سامع الصراخ وشاعر أن هؤلاء ما يعملون شيء! فيدخل ويقترح على أنه ينقذ الناس، ماذا سيحدث؟ يزيد عدد الضحايا واحد ويصبح هو ضحية من الضحايا ولن يستفيدوا منه؛ لأنه لا يفهم الموضوع، ليس عنده خبرة!، هنا حماسه وغضبه هذا ما أتى علينا إلا بالوبال؛ لأنه لما يقترح ماذا يصير؟ يأتي أحد يريد يمنعه، فأشغل هؤلاء العاملين عن عملهم. لما يشبط هؤلاء العاملين ويقول أنتم ما عندكم دين، ما عندكم حمية، يقوله في حرارة الموقف، وافترضني يقوم يأتي باقتراح من عنده وهو لا خبرة له ولا فهم، ماذا يحدث؟ يعمل الهلاك له والهلاك لمن يريد انقاذه! وما استفدنا منه إلا أن ضيع وقتنا! وزاد الصراخ وزاد عدد الضحايا لو دخل في الأمر.

لو كنت عاقلة ماذا ستقولين؟ هؤلاء يعرفون ما عليهم، فبأي قلب أنت تتهمهم؟!، لكن لو حكيتي لأحد هذا الموقف يقول: صحيح أصلاً الدفاع المدني ما عندهم اهتمام! فالمسألة أصلاً مُقدم لها فقدان الثقة.

هذا مشروع سنين بيث أن إفضلوا الأمة عن علمائها الراسخين، أفقدوهم الثقة فيهم، حتى لما تأتي الأزمات لا يسمع صوتهم أبداً! هذه مسألة طويلة المدى، نحن الآن نعاني في كل شيء من هذه المسألة، أي مشروع في مصلحة المسلمين المردود العكسي أنه ليس له أثر! ومن قال له أن هذا الطريق هو الذي ينصر المسلمين، يقوم بالتنذيل!.

فلذلك تستعجبين في آية يونس أن هذه أوامر (اجعلوا بيوتكم قبلة، إلى وبشر المؤمنين)، تستعجب أن الروح المعنوية شيء مهم وهم في الأزمة بشرهم.

ولذلك لما تنظر إلى الخندق في أزمة الأزمة، كما سنقرأ في الأحزاب في الأزمة، يأتي نبأ كسرى وقيصر وما يكون؛ فهذا معناه أن معنويات المسلمين أمانة في أعناقنا، إذا انتشر داء في مكان أو تسلط على مكان -أحد النسل من الفراعنة- إذا تسلط على مكان هذا ما نشبط حال الباقين.

اليوم نسمع دعوات لن نحرر القدس إلا لما تبادوا بتحرير العاصمة الفلانية، وهذه العاصمة الفلانية من عواصم العالم الإسلامي المستقرة الهادئة التي لا اضطراب فيها! أول شيء حرروها من الطغاة لكي تحرروا القدس!. إلى درجة أن كاتب من الكتاب كتب أن الفوضى هي الحل! لماذا الفوضى هي الحل؟ لأن مصالح البعض ومن بالغرب والشرق ستحقق لو فيه استقرار، ولكي لا نعمل لهم مصالحهم نصبح في فوضى! انقلب التفكير!.

المقصود بهذا الكلام أن ترى من توقف "على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا" وعندهم دليلهم الذي يجعلهم يتوقفوا ولا يغضبوا ولا يستعجلوا، وليس جنباً ولا تسيساً كما يظنون.

ولذلك لا تكن ممن يخذل المسلمين، أوامرهم بالتوكل، زد تعلقهم بربهم، أزمة اليوم فرج الغد، بشر المؤمنين، الله الذي يملك الرزق، ما هؤلاء حتى لو تسلطوا علينا بكذا وكذا، جنتنا في صدرنا، نحن نسجد ندعو الله عزّ وجلّ يطعمنا ويسقينا.

لا أحد يكلمك عن الاقتصاد، لا أحد يكلمك عن موارد الماء، يخيفونا! الماء من السماء، الماء ليس بيد أهل الأرض، النبات هذا من عند الله لا من عند أهل الأرض.

هذه التخوينات يمكن للمؤمن أن يعالجها، لكن ضعيف الإيمان ومن جعل المسجد وحلقة التحفيظ ومواطن العلم مواطن للسياسة والتسييس والكلام في شيء لا يخصه هذا في الفتن لا يجد علماً يواجه بها الفتن، تنقصنا العبادات القلبية، ينقصنا أنه لما تأتي الفتنة ماذا يجب علينا أن نفعل؟!، يكون الحزم أن لا تغضب، إن الله لا يعجل لعجلة أحد من عباده.

لا أحد يكلمك عن النصر أين هو؟! أنت كلمهم عن العبادة أين هي ! يقولون لك أين النصر؟ أنت كلمهم أين العبادة؟!

إذن السمة الأولى للمؤمنين: الابتعاد عن الغضب والإستعجال.

اليوم وسائل الاتصال هذه الجديدة جعلت الإنسان لا يدخل في العبادة المطلوبة ((العبادة في الهرج،

كحجزة إلي))<sup>1</sup> فمن التقرب إلى الله احذف كل الوسائل التي تتصل بها إلى العالم.

#### السمة الثانية:

#### التأني في الفتيا ودفعها إلى أهلها

إن الصحابة رضي الله عنهم تدافعوا الفتيا؛ لأنهم على علمٍ وقفوا، وتدافعوا الفتيا في مسائل يسيرة، فكيف إذا جاءت المسائل الكبيرة العظيمة؟ فهل يكون من منهجهم الإسراع في الفتيا، والإسراع في الكلام؟

يعني كانوا متأنين في المسائل اليسيرة فكيف بالمسائل العظيمة

الجواب: ليس هذا من شأنهم؛ لأنهم على علمٍ وقفوا وبيصراً نافذ كفووا.

البصرُ مراد به البصيرةُ التي قال - جل وعلا - فيها أمراً نبيّه: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ

أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } سورة يوسف: ١٠٨.

والبصيرةُ للقلب كالبصر للعين، ويُعاوَض بينهما في الاستعمال.

قال: "وبيصراً نافذ كفووا" فحين كفووا عن الفتيا في زمن قتل عثمان رضي الله عنه وفي زمن الخلاف بين

علي ومعاوية - رضي الله عنهما - ، وحين كفووا في الفتن لما حصل ما حصل؛ إنهم بيصراً نافذ كفووا..

<sup>1</sup> "صحيح مسلم" كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، (٧٥٨٨).



هناك نفاذ حين كَفَّوا، وليس الكفُّ عجزاً أو هرباً، وإنما هو طلبٌ للسلامة حين يَلْقَى الناسُ ربَّهم - جل

وعلا - .

يعني كانوا يتداولون لما يسألوا عن الفتنة خصوصاً بعد انتهائها، كأنهم كانوا يُسألون: من كان على صواب علي رضي الله عنه أم معاوية رضي الله عنهم؟! فكانوا يرددون أن هذه دماء سلّم الله منها أيدينا فلنسلّم منها ألسنتنا، فهم لما كَفَّوا، كَفَّوا عن بصر نافذ وليس هرباً أو عجزاً! .

وكان من أشهرهم ابن عمر رضي الله عنه، فإنه كان من أحق الناس علماً وعملاً بالولاية، وكان من أبرز الصحابة في المنزلة، فُرشي له مكانته، ومع ذلك لم يكن يحرك في هذا الشأن ساكناً؛ حفاظاً على جماعة المسلمين، وقرؤوا في سيرته ما تستعجبون من حرصه على الجماعة.

فإنهم لما أراد أهل المدينة الانقلاب على يزيد ابن معاوية، لما مات معاوية كان يزيد مكانه وكان معروف يزيد وشأنه، فأراد جماعة من أهل المدينة أن ينقلبوا على يزيد، فاجتمعوا مع أهل بيته، ناصحهم - ناصحهم ما قَبِلوا في الخارج - اجتمع مع أهل بيته وقال لهم إنا بايعنا الرجل على بيعه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وأني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **((لِكُلِّ غَادِرٍ لَوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ يُقَالُ هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ))**<sup>1</sup>، المعنى أنه مَنع أهل بيته من أن يخرجوا أو ينقلبوا على يزيد حفاظاً على جماعة المسلمين.

فالمقصود أن القوم لما تركوا مثل هذا ما تركوه إلا عن بصر نافذ وعن علم، وليس عجزاً ولا هرباً. سنعود إلى الفتيا لأن هذه فتيا في الدماء يسأل نخرج ما نخرج، نفعل أو لا نفعل، يتوقف في هذا الأمر ولا يُفتي.

وقال الله تعالى: { وَكَأَن تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتَكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ

إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ } [النحل: ١١٦].

هذه الآية تبيّن شدة خطر القول بأن هذا حلال وهذا حرام؛ لأن المرء لا يجزم بموافقة حكم الله جل وعلا في المسائل الاختلافية، أو في المسائل المجتهد فيها.

<sup>1</sup> رواه البخاري ومسلم واللفظ له.

وقد كان منهج السلف في هذه المسائل هو الورع والاحتياط للدين، فلا يقولون: هذا حلال، إلا لما اتضح دليله من أدلة الشرع، ولا يقولون: هذا حرام، إلا إذا اتضح دليله.

وقال تعالى: { قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ (٥٩) وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ } ليويس: ٥٩، ٦٠.

ما ظنهم؟ إلا أن عقوبة ستنزل عليهم يوم القيامة.

قال العلماء في تفسير هذه الآية: كفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن التجوُّز فيما يُسأل من الأحكام، وكفى بها باعثة على وجوب الاحتياط في الأحكام، وأن لا يقول أحد في شيء: هذا جائز، وهذا غير جائز إلا بعد إتقان وإيقان.

المسألة ليست باليسر الذي يتداوله الناس، لا يتكلم إلا بعد إتقان وإيقان.

ومن لم يوقن فليتيق وليصمت، وإلا فهو مفتري على الله سبحانه وتعالى، وقوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ } ليويس: ٥٩، وقوله من شديد الوعيد، وهذا يوجب الخوف من الدخول في الفتيا في كل ما يسأل عنه الناس.

لما يسأل الناس مسألة تتصل بالدماء تكون المسألة أعظم وأشد، كل ما كان فيه دماء وحكم للمسلمين، تكون فيه المسألة أعظم وأشد.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ((من أفتي بغير علم كان إثمُهُ على مَنْ أفتاه))<sup>(١)</sup>

وينبغي على المرء أن يربأ بنفسه أن يعرض دينه للخطر، وأن يعرض حسناته للذهاب بذنب يحدثه في الأمة.

إذن السمة الثانية بعد الغضب والاستعجال: التأيي في الفتيا ودفعها الى أهلها.

هذين مسألتين مرتبطة ببعضها، لا تستعجل، لا تجعل مشاعرك التي تحكّمك، ولما تأتي المسألة أنه يجب أن تفعل وأن الجهاد الآن واجب والجهاد فرض عين ومثل هذه الكلمات هذه فتيا على مستوى الأمة! مثل هذا لا يُتعمد فيه، مثل هذا لا يكون الحماس هو الذي يدفع الناس إنما لابد من إتقان وإيقان.

<sup>(١)</sup> رواه " أبو داود " في (كتاب العلم - باب التوقي في الفتيا) رقم ٣٦٥٧ من حديث أبي هريرة، وقريب منه في سنن " ابن ماجه " رقم ٥٣.

### السمة الثالثة:

#### الرفق والأناة والحلم

إن من سمات الصحابة رضوان الله عليهم الأخذ بما يُحبُّ الله جل وعلا ويرضاه، ومن ذلك الرفق والأناة والحلم.

أنت الآن تريد أن تسير على نهج الصحابة، والصحابة يأخذوا بما يجب الله ويرضاه ومما يجب الله ويرضاه الرفق والأناة والحلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء في الصحيحين: ((إن الله يحب الرفق في الأمر كله))<sup>(١)</sup> وقال عليه الصلاة والسلام: ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه ولا تُشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبلٍ جميعاً ولا تفرقوا، وأن تُنصحووا من ولأه الله أمركم))<sup>(٢)</sup>

قال نبينا صلى الله عليه وسلم: ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه))<sup>(٣)</sup> وقال صلوات الله وسلامه عليه: ((من يُحرم الرفق يُحرم الخير))<sup>(٤)</sup>

وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: ((إن فيك خصلتين يُجهما الله الحلم والأناة))<sup>(٥)</sup>

هذا كله يدل على أن الحلم والأناة من مسالك أهل الإيمان، يعني لما تأتي الفتنة لا نستعجل ولا نغضب وتحركنا مشاعر، ولا نكون ممن يتعجل أيضاً في التجويز والتحليل والتحريم، ندفع هذه إلى أهلها، ونعامل الناس الذين يتعرضون للفتنة ويكون عندهم ضغوط نعاملهم بالرفق والأناة والحلم، ونحفظ من النصوص ما يساعدنا على إيصالهم هم أيضاً إلى بر الأمان.

يعني إن ابتليت أن تكون مرشداً لأحد، ويأتيك أحد قلبه مشحون بالمشاعر التي شحنتها الإعلام، يتقاذفونه، يتقاذفنا الإعلام، جماعة تصور لنا المشهد بصورة عظيمة وجماعة تصور لنا خذلان المسلمين، ويصبحوا يتقاذفونا في مشاعرنا بحيث في نهاية الأمر يطيش عقل الإنسان! خصوصاً من فيه ديانة، لما يأتيك مثل هذا، هذا جزء من الفتنة التي نعيشها، نفس الأمر الذي مفتونين فيه بالإضافة إلى الناس

(١) أخرجه " البخاري " في " صحيحه في (كتاب الأدب - باب الرفق في الأمر) من حديث عائشة - رضي الله عنها .

(٢) أخرجه " أحمد " في " مسنده " ( ١٤ / ٧٨ ) ، و " مالك في " الموطأ " في (كتاب السلام / ٢ / ٩٩٠) . من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب البر والصلة - باب فضل الرفق) برقم ٦٦٠٢ من حديث عائشة - رضي الله عنها - .

(٤) رواه " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب البر والصلة - باب فضل الرفق) برقم ٦٥٩٨ من حديث جرير رضي عنه .

(٥) أخرجه " مسلم " في " صحيحه " في (كتاب الإيمان - باب الإيمان بالله تعالى ورسوله وشرايع الدين . . .) برقم ١١٧ .

الذين تأثروا كأثم يلحوا عليك بمشاعرهم أن اتجه معنا في هذا الطريق يجب أن تناصرنا يجب أن تكون ممن يرفض هذه الحال أو يُدّد!

مثلا في السياسات الجديدة يخطب خطاب اعتراض، جمع مليون اعتراض، أخرج معنا قف بجانبنا إلى آخره، فكل هذا يحتاج نوع من الحلم والأناة لكي تمتص هؤلاء، لا توافقهم، تشعرهم أن الأمر ليس بهذه الطريقة، وأن الأمر يحتاج منك إلى فهم وإلى مراجعة على منهج السلف، وهذا لم يكن منهمجهم، فأنت تستعمل مع نفس الفتنة الحلم والأناة وتستعمل مع المفتونين الحلم والأناة.

يعني أنت أحيانا تكون سلمت من الفتنة لكن لا يسلم الناس الذين حولك منها، فيكونون أحد أساليب الضغط، ولا تكون ممن يستفز الناس، يعني هم الآن ثائرين مع الفتنة أنت عليك أن تردهم رداً جميلاً ليس رد يُسبب لهم زيادة الغضب من المنهج وزيادة الغضب من الدعوة وزيادة الغضب من الطريق الذي نسيره، لا نريد أن نسترضيهم - ليس مهم رضاهم - لكن لا نريد أن نفتن الناس فوق فتنتهم.

فعلينا بالحلم والأناة ونحن نعالج نفس الفتنة، وعلينا بالحلم والأناة ونحن نعالج نفس المفتونين.

كتب أحد المؤرخين فيما يُذكر أن إخواننا في فلسطين تمكن منهم اليهود؛ لأنهم لم يمتثلوا إلى قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَو رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ

مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ النساء: ٨٣ فيحكي أن اليهود بدؤوا في قرية واحدة هجموا

عليها فهربوا ذهبوا إلى القرية الثانية، خوفهم أن اليهود دخلوا عليهم فخلت القرية الثانية احتلوها وهكذا إلى أن احتلوا المنطقة كاملة!

#### السمة الرابعة

#### اجتماع الكلمة عند الفتن

من سمة السلف لمن درس منهمجهم في القرن الأول حين كثر الخلاف، وكثرت الفتن أنهم يأمرون بالاجتماع،

وينهون عن الافتراق.

وقد قرّر أهل العلم أن الاجتماع نوعان:

(١) الاجتماع في الدين.

(٢) والاجتماع على ولي الأمر.

والافتراق نوعان:

(١) افتراق في الدين.

(٢) وافتراق في الجماعة.

والله جل وعلا قال: {وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} آل عمران: ١٠٣.

والنبي صلى الله عليه وسلم حضَّ على الاجتماع والجماعة بقوله: ((سَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً

كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، قَالُوا: مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: هِيَ الْجَمَاعَةُ))<sup>(١)</sup>

قال أهل العلم: معنى الجماعة هنا ما يشمل الاجتماع في الدين، والاجتماع على من ولَّاه الله الأمر من

المسلمين.

ونحن نعيد ونكرر من ولَّاه الله، يعني الفعل منسوب إلى من ؟ إلى الله.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((الجماعة رحمة، والفرقة عذاب))<sup>(٢)</sup>

وهذا ظاهر بيِّن في أن منهج الأئمة الحرص على الجماعة.

حتى أنه لما ظهر القول بخلق القرآن، وحصل من الناس ما حصل من التسارع إلى نشر هذا القول، ودعا إليه

ولي الأمر في ذلك الزمان، قال أحد طلاب الإمام أحمد - وهو إمام أهل السنة والجماعة - له: ألا ترى ما

الناس فيه؟ ألا تقول قولاً يغير الله به ما فعل..؟ كأنه يشير إلى ما فعل ولاية الأمر، أو ما هو مشهور.

فجعل الإمام أحمد - رحمه الله - ينهى عن ذلك، وينفض يديه شديداً، ويقول: "إياكم والدماء، إياكم

والدماء".

وهذا من شديد فقهه، مسألة في الدين، قول بخلق القرآن، نفي صفة من صفات الله، أمر في أصول

العقيدة، ويأتي هذا الطالب المتحمس لشيخه، متحمس لمنهج أهل السنة والجماعة إلا أن حماس هؤلاء

إذا لم يقابل بالحلم والأناة وترتيب الأفكار ومساعدتهم على الطريق المستقيم، يفتنوا الناس هؤلاء، ماذا

كان موقف الإمام أحمد؟ قال "إياكم والدماء، إياكم والدماء" مع أن الأمر ما كان فيه إلا كلمة يقولها

(١) أخرجه "أبو داود" في "سننه" في (كتاب السنة - باب شرح السنة) ٦٥٠ ط دار السلام. من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه. و "ابن ماجه" في "سننه" في (كتاب الفتن - باب افتراق الأمم) ٥٧٤ ط دار السلام. من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه.

(٢) قطعة من حديث أخرجه "أحمد" في "مسنده" (٣٠ / ٣٩٠) من حديث النعمان بن بشير - رضي الله عنهما - .

وهي: أن هذا ليس صحيح، لكنه يعلم أن هذه الكلمة لو قالها ستحدث الفرقة ومن ثم يثاروا، وهذا فقهه، على الإنسان أن يكون شديد الملاحظة له، وهذا أمر يتصل بالعقيدة، يعني ليس أمر من العمليات لنقول تنازل عنه.

يعني يأتي أحد يقول أنت يا شيخ ألا تراهم يسمحون للبنوك الربوية بالوجود؟ يستفز! ألا تراهم يسمحون مثلاً بدخول الخمر لبلاد المسلمين؟ نعم تراهم يفعلون هذا الأمر لكن "إياكم والدماء إياكم والدماء" الذي تُصلحه سيأتي بخراب عظيم أعظم من المنكر الذي تتكلمون عنه، وهذا الفقه لا يتكلم عنه إلا من يعرف الشريعة ويعرف منهج السلف، الراسخون في العلم، فهذا الفرق بين الشاب وبين الإمام أحمد، مع أنه في هذا سجن، وفي هذا عُذْب، لكن الحكمة تأتي على السنة هؤلاء الذين يعرفون ما هو الحق. لماذا؟

لأنه يعلم أن شدة الافتراق تُسبَّبُ في النهاية الافتراق في الأبدان، ثم وقوع ما يُخشَى منه من سفك الدماء، أو منازعة في الأمر.

وكل هذه المنكرات التي يتكلمون عنها حلها هو أن نبث في قلوب الناس الإيمان، إن تجارب حولنا تقول إذا لم نغير أرضية الناس وإيمانهم وتقواهم إذا ما غيرناهم وبدلنا جهودنا مهما وضعنا عليهم أحد معه إيمان لا يستطيع أن يقلب الكفة لهم! بل هم سيقبلون الكف عليه!، إذن الإناء يأتي من أين؟ يأتي من أسفل إلى أعلى، لو تغير الناس في الأسفل يغير الله لك الناس في الأعلى.

فدور المساجد ومدارس التحفيظ، والدعاة بذل الجهد لإصلاح القلوب، بذل الجهد لأن نعزم على الناس أن يخطوا ويسيروا في منهج السلف، يجب أن نعرف دورنا.

فالمقصود أن معرفة الإنسان لدوره تساعد على بناء أمة تسير في الطريق الصحيح، لكن تصوري أسرة، أم لا تعرف دورها أنها تهتم بالنشء، وأب لا يعرف دوره أنه عليه أن يرعاهم، لا تسأل عن خراب العائلة!

نفس الكلام على الأمة، مسجد لتعليم الناس العلم يجتمعون من أجل أن يحفظون القرآن، ما دوري هنا غير تعليم القرآن؟ هذا دورك فلا تُسَيِّس المناير، لا تُسَيِّس مراكز الدعوة، لا تسييس المشاريع الدعوية أبداً، ما تسييس ولا تستخدم في السياسة. هل هذا فصل الدين عن الحياة؟! لا، إنما هذه هي الحياة وطرد لمشتتات الدين، لازم نفهم هذا الأمر، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول "إياكم والفرقة".

ويتحتم على الأمة الإسلامية أن تعي تماماً ما بينه الكتاب وكذلك السنة أن أهل الكتاب تفرقوا واختلفوا،  
وضرب بعضهم بعضاً، لا لنقص العلم عندهم، بل من البغي والتأويل.

إذن نحن مأمورين بالجماعة ومنهين عن التفرق، والتفرق ليس لنقص العلم إنما التفرق يحصل بسبب  
البغي والتأويل.

قال الله جل وعلا: {وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ  
مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ} [الشورى: ١٤].

والبغي أساسه الانتصار للرأي، يعني لا يبغي الإنسان على أحد إلا إذا ركب هواه وانتصر لرأيه، يعتمد  
رأياً يغضب عليه، ويحمل الناس على الولاء له وللرأي، ويجعل الرأي عليه يحصل الولاء والبراء، ثم يصبح  
المسلمين فِرَقَ وأحزاب، وهذا متكرر في الحصول، رأيه يعتمده ويجمع الناس أنت معي أو ضدي،  
فيتحزبون! هذا حزب فلان لأن أفكارهم مع فلان وهذا حزب فلان لأنهم يوافقون على أفكار فلان.

ولذلك قال العلماء في كتب العقائد: إن أعظم ما حصل به الافتراق والفتن والبغضاء في هذه الأمة من شيئين:  
البغي، والتأويل.

التأويل تأويل النصوص، بحيث أنهم يأخذون في تأويل النصوص ما يساند آراءهم.

فإذا حصَلَ البغي: بأن زاد الناس على ما أذن به، أو حصَلَ التأويل بغير مستند شرعي صحيح وقعت الفتنة.  
والعيادُ بالله تعالى.

يعني مثلاً لما سُموا إنقلابات العالم الإسلامي بالربيع العربي كانوا سألوا الشيخ صالح بن فوزان فقال أي  
ربيع هذا ما رأينا ربيع؟! ثم قال إذا كان ربيع فهو ربيع اليهود وليس ربيع العرب، والذي تابع الأحداث  
سيرى هو حقيقة أنه ربيع اليهود؛ لتمكنهم من أشياء ما كانوا متمكنين فيها في الزمن الماضي، ما أن  
تحصل الفتنة والفرقة إلا يلعبون دوراً لم يكن لهم من قبل! وهذا حصل في بلاد المسلمين بالوثائق  
والشواهد، أنهم الآن موجودين وجود لم يكن موجودين فيه فيما سبق، هذا كله يجعلك تفهم أننا نخالف  
السنة فنبتلى فنفتق ويغتنم ذلك العدو!.

## السمة الخامسة:

### السمع والطاعة لولاة الأمر

مما دلّت عليه النصوص وتظاهرت لزومُ السمع والطاعة لوليّ الأمر المسلم، لأن السمع والطاعة أمر عظيمٌ، خالفَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية.

ما معنى خالف به النبي صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية؟ معناه أن من مسائل الجاهلية وصفاتهم أنهم لا يقبلون بأمر، لا يقبلون بقائد، لا يقبلون بولي أمر، إنما كان ديدنهم القناعة بنفوسهم وعدم الرضا بالقيادة، ما يقبلون القيادة، فقط يقتنعوا بأنفسهم وآرائهم، ولا يقبلون القيادات، فهذا سبب لهم الافتراق المعروف، وكيف أن بعضهم كان يقتل بعض، وبعضهم يغزو بعض، وكيف أن الحروب عندهم تبقى أربعون سنة! وعلى ناقة وعلى أمور ينجل الإنسان من الكلام عنها، لكن هذا موجود ولا بد أن تعرف أن هذا حال أهل الجاهلية، ونحن ممدوحين بمخالفة أهل الجاهلية.

السمع والطاعة النفس تأباه إذا كانت ضعيفة الإيمان تقبله إذا كانت قوية الإيمان، والمعنى أن المؤمن لا ينظر إلى شخص من يسمع ويطيع ولا يفكر في حاله، إنما يمثل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسمع والطاعة.

### هناك موردين للسمع والطاعة:

١- أن يكون ولي الأمر على هوايا، ويوافق ما أريد، أسمع وأطيع لأنه أمرني بشيء فيه مصلحة لي، فتكون الطاعة هنا هوى.

٢- أن لا أفكر في شخص من تأمر علي، إنما أفكر في أني أطيع طاعة الله، فلا أفتش في حاله، ولا أفتش في ما يفعله، ولا أقبل أبداً أن يأتي أحد فيهتك سرّه أو يكشف عورته أو يستفزني لأطعن فيه.

وقد كان يقول أبو الدرداء رضي الله عنه: "أن أول نفاق المرء طعنه على أمامه"؛ فهذا نفاق من جهة أن أهل الإيمان من لوازم إيمانهم الطاعة، وأهل الجاهلية من صفات جاهليتهم عدم قبول الطاعة، أنت لا تطيعه لشخصه ولا لفعله إنما طاعة الله ولرسوله صلى الله عليه وسلم.



ومعلوم أنه إذا أمر بمعصية مُنعت من أن تقوم بالمعصية ومُنعت من الخروج عليه، وإذا تركت المعصية ففتحَّيل على تركها، نفترض أنه أمر النساء فرضاً بأن لا يحتجبن، هذه معصية وليس من حقه أن نأتمر بأمره، ماذا نفعل؟ نحتال بأن لا نخرج، نحتال بأن نخرج ليلاً، نحتجب بحيث أننا لا نلاحظ، لكن ليس من حقنا أن نخرج، يعني اترك المعصية وإذا كانت تعارض مصالحك فاحتال لكي لا تقع في المعصية، لكن ممنوع أن تخرج عليه وممنوع أن تثير الناس بسبب أمره بالمعصية.

وموقف الإمام أحمد واضح، أنت لا تفعل المعصية، لا تخرج عليه فعلاً ولا تخرج عليه كلاماً؛ لأن الخروج فيه قولي وفي فعلي:

فالقولي : هذه الإثارات التي تسمعها، وهذه الكلمات التي يدافعها الناس وهم يكتبون، يظنون أنهم بذلك ينصرون المسلمين! وهم في الحقيقة يخذلونهم!.

سؤال من إحدى الحاضرات: ما معنى الخروج السلمي؟

الخروج السلمي يساوي الهياج، عدم الطاعة بلزوم كل شخص عمله، العصيان المدني، هذا نوع من أنواع العصيان، فإذا كان الخروج باللسان ممنوع فكيف بالخروج بالأبدان؟! الخروج بالأبدان يعني بدنك فيه خروج، حملت سلاح أو لم تحمل ففي النهاية الفوضى تكفي! الحجارة التي يتراشفونها في الخروج السلمي ألا تعتبر سلاح؟!!

نعود إلى السمة الخامسة وهي السمع والطاعة لولاة الأمر، قال:

مما دلَّت عليه النصوص وتظاهرت لزومُ السمع والطاعة لوليِّ الأمر المسلم، لأن السمع والطاعة أمر عظيمٌ،

خَالَفَ به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية.

وقد ذكره إمام الدعوة الشيخُ محمدُ بنُ عبد الوهاب - رحمه الله - في "مسائل الجاهلية" في أوائل المسائل

مع التوحيد.

يعني في أوائل المسائل الجاهلية ذكر الشيخ أن من مسائل الجاهلية وصفاتهم: الشرك، وأنهم لا يقبلون الجماعة.

وذكر التوحيد، والنهي عن الشرك فيما خالف به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهلَ الجاهلية..

وذكرَ الاجتماعَ، وعدمَ الافتراقِ..

وذكر الطاعةَ.

وهذا أصل عظيم، نُقِلَ به النبي صلى الله عليه وسلم الأمةَ عمَّا كان عليه أهلُ الجاهليةِ، ولهذا قال:

((لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ))<sup>(١)</sup>

كفاراً هنا بمعنى عودة إلى الجاهلية وإن كان معناه الكفر الأصغر لكنه مقصود به العود إلى الجاهلية، وليس كل صفة في الجاهلية تجعل الإنسان حكمة الكفر، يعني حتى الخوارج نحن لا نحكم بكفرهم، إنما نرى أنهم قد ارتكبوا معصية عظيمة في حق المسلم لكن مع ذلك لا يعتبروا كفاراً.

وإذا كانت النهاية في أمرٍ ما هو هذا فإنَّ سدَّ الذرائع الموصلة له واجبٌ شرعاً، بل من أعظم الواجبات.

وينبغي على الأمة التسليم لولي الأمر في الوفاء بالعهد والميثاق فإذا أخذ ولي الأمر بالعهد والميثاق بينه وبين غير

المؤمنين من الكفار، أو المشركين؛ فإنه يتحتم إمضاؤها؛

يعني علينا طاعة ولي الأمر، ولو أنه اتفق مع مشركين أو كفار على معاهدة، ماذا يجب علينا؟ إمضاؤها.

لأن الله جل وعلا قال: {وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ

كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤].

ولكي يظهر الأمر أكثر:

وقال جل وعلا: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا

أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ

اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال: ٧٢].

قال الله عز وجل ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ

أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ ﴾ عليكم أن تنصروهم، وأتى الاستثناء ﴿ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ﴾ [الأنفال: ٧٢].

<sup>(١)</sup> أخرجه " البخاري " في " صحيحه " في (كتاب العلم - باب الإنصات للعلماء) ، وفي (كتاب الديات - باب قول الله - تعالى - : وَمَنْ أَخْيَاهَا فِي أَمَاكِن

أخرى انظر فتح الباري ( ١ / ٢٨٦ ، ٢١ / ٢٣٧ ) . ط دار السلام - من حديث العمان بن بشير رضي الله عنهما - .

وهذا الاستثناء لا يخالف الولاء والبراء؛ لأن القرآن حقّ كله.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية:

"إن استتصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا - إن استتصروكم وهم قوم - في قتال ديني على عدو لهم

فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم، لأنهم إخوانكم في الدين

الأصل المطلوب منكم أن تنصروهم

إلا أن يستتصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق - أي: مهادنة إلى مدّة - فلا تخفروا

ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم."

يعني أولاً هؤلاء مسلمين لكنهم لم يهاجروا يعني لم يكونوا في المدينة، إذن الهجوم لم يكون في المدينة إنما في الأعراب جالسين في مكائهم، أتى على هؤلاء المسلمين كفار يجاروهم فاستنصروا المسلمين الذين في البلاد عليكم إن تنصروهم إذا صال عليهم الكافر، إلا فيه استثناء، إلا إذا كان هذا الصائل عليهم أو هذا المحارب لهم، يعني هذا لم يكن صائلاً في بلادهم ومحارب لهم إنما كان محارب لهم : إلا إذا كان المحارب لهم أنتم بينكم وبينه عهد فلا يحق لكم أن تنصروا المؤمنين الذين هم معكم على الإيمان على كافر بينكم وبينه عهد، فهذا لا يخالف الولاء والبراء.

قال ابن كثير: "وهذا مروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما -".

وهذا ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية.

كان في الصلح أن من أتى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة من المسلمين فإنه يرجع إليهم، ومن ذهب من

المسلمين من المدينة إلى مكة فإن المشركين لا يرُدُّونه إلى المسلمين.

وأمضى النبي صلى الله عليه وسلم هذا العهد والميثاق.

قال عمر رضي عنه للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال:

بلى قال: فعلام نقبل الدنية في ديننا؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إني رسول، وأنا واثق بوعد الله))<sup>(١)</sup>

عليه الصلاة والسلام.

<sup>(١)</sup> قطعة بالمعنى من حديث طويل أورده "البخاري" في "صحيحه" في (كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد، والمصالحة مع أهل الحرب، وكتابة الشروط) و

(كتاب المغازي) انظر فتح الباري (٥ / ٤٠٣ - ٤٠٨) و (٧ / ٤٥٣) ط دار السلام.

سبحان الله يثق في الله، والله عزّ وجلّ ما خذله في متابعة السنة، ثم أن عمر رضي الله عنه بهذه الكلمة يعمل أعمال صالحة لعل الله يغفر له. يقول:

ومسائل الولاء والبراء عظيمة ومهمة، فإذا تكلم فيها أحد من العلماء فإنه يقصد بها ما يشمل عموم أحكامها؛ لأننا نستدل بالقرآن والسنة.

يعني لما تأتي تتكلم عن الولاء والبراء لا تجعل الولاء والبراء على هواك، خذ كل الأحكام المتصلة بالولاء والبراء.

وإن مسائل الولاء والبراء، والخوض في العهود والمكاتبات، وما يحصل من قضايا كبيرة هي لأهلها، وليس لعامة الناس.

وليس من منهج الخطباء وأئمة الدعوة أن يتحدثوا في ذلك مع العامة.

ليس هذا الطريق الصحيح.

قال الإمام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب: "وخضتم في مسائل من هذا الباب، كالكلام في الموالات، والمعادات، والمصالحة، والمكاتبات، وبذل الأموال والهدايا، ونحو ذلك، والحكم بغير ما أنزل الله، عند البوادي ونحوهم من الجفاة.

ذهبوا يخطبوا الناس وقالوا لهم هذا الكلام !.

لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب، ومن رزق الفهم عن الله، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب" اهـ<sup>(١)</sup>

يعني مثل هذا لا تقوله للعوام، هذه أمور وشؤون يُنصح فيها العلماء وولاية الأمر.

قال : كما قال - رحمه الله - أيضاً بعدها:

"والكلام في هذا يتوقف على معرفة ما قدمناه، ومعرفة أصول عامة كلية، لا يجوز الكلام في هذا الباب وفي غيره لمن جهلها وأعرض عنها وعن تفاصيلها.

<sup>(١)</sup> مجموع الرسائل ص ١١ .

فإن الإجمال والإطلاق وعدم العلم بمعرفة مواقع الخطاب وتفصيله يحصلُ به من اللبس والخطأ وعدم الفقه عن الله ما يفسد الأديان، ويشتت الأذهان، ويحول بينها وبين فهم القرآن.

قال ابن القيم في كافيته:

فعليك بالتفصيل والتبيين فالإطلاق والإجمال دون بيان  
قد أفسد هذا الوجود وخبَّط الـ أذهان والآراء كلَّ زمانٍ  
انتهى كلامه - رحمه تعالى - .

إنَّ فهمَ منهجِ أئمةِ الدعوةِ متكاملٌ، والأخذُ به أخذٌ بما قامتُ به هذه الدعوةُ وقامتُ به الدولةُ منذ الدولةِ السعوديةِ الأولى من تحقيقِ للإسلامِ بفهمٍ شاملٍ للنصوصِ.

وهذا يُتركُ لأهلِ الشأنِ من ولايةِ الأمرِ، وأهلِ العلمِ؛ لأنَّ هذا هو الحقُّ في هذه المسائلِ. والعامَّةُ لا يمكنهم فهمَ التفصيلِ والتبيينِ في مسائلٍ أقلَّ من ذلك فكيفَ في هذه المسائلِ العظيمةِ؟، ولهذا لم يكن أئمةُ الدعوةِ في خطبهم الموجودةِ يُفصِّلونَ الكلامَ في هذه المسائلِ، لأنَّ ذلك - كما قال الشيخُ عبدُ اللطيفِ - : إنما هو لأهلِ العلمِ الذين يفتنونَ بموجبِ ما يعلمون لوليِّ الأمرِ وللناسِ.

يعني المسائل التي فيها مكاتبات ومعاهدات مع الدول هذا شأن ولي الأمر والعلماء، يعني المفروض أن ولي الأمر يشاور العلماء ومن ثمَّ يُفتوه، وليس من حق العامة أن العلماء يأتون فينبوا لهم تفاصيل هذا الأمر، فهذا لا يعينهم، إنما يعينهم أن يُسيِّسهم هذا على طريق السنة والكتاب، هذا لو كنا نتكلم عن دولة تطبق الإسلام بحذافيره فلا يأتي يطعن على الدولة بأن لها علاقات كفار، إنما هذه المعاهدات والمكاتبات بين ولي الأمر والعلماء.

عندما يأتي أحد يقول لك في عهد فلان فعل هذا مع اليهود، وفي عهد فلان فعل كذا، يريدون أن يطعنون، كل هذه الأمور أنت ليس عندك تفاصيلها فلا تتكلم إلا في الشيء الذي يعينك، الأمر على خطر، فرقة المسلمين خطر عظيم حتى لو وقعت أشياء من الأخطاء ذكر هذه الأخطاء ليست في صالح المسلمين أبدًا.

نكمل باقي الرسالة غدًا إن شاء الله..

شرح رسالة:

# سِمَاتُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْفِتَنِ وَتَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ

معالي الشيخ: صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

اللقاء الثاني

شرح أ. أناهيد السمييري

ألقي في ٢٨ شعبان ١٤٣٤ هـ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لازلنا في رسالة سمات المؤمنين في الفتن وتقلب الأحوال، وقد ذكر الشيخ صالح حفظه الله عشرة من السمات، وتدارسنا منها خمسة من السمات.

كانت السمة الأولى وهي المهمة جداً من بين السمات:

### الابتعاد عن الغضب والاستعجال.

وقد ورد ذمّ الغضب كثيراً في القرآن وفي السنة، وأن هذه جمره الشيطان يلقيها في قلب العبد، وأيضاً ورد فيما يخصّ القضاء والحكم حديث واضح ذكره البخاري في كتاب الأحكام يوصف به منع القاضي من أن يقضي وهو غضبان، والاستعجال. فالغضب جمره في القلب تجعل الإنسان تعمي بصيرته، على بصره غشاوة، أما صفة الاستعجال من الصفات التي تدلّ على الطيش فإن العجول من الخلق طائش في الحكم، فحكمه ليس فيه حكمة، والله عزّ وجلّ لما يخبرنا في كتابه أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، غالب السور التي فيها خبر عن ستة أيام فيها خبر أن الله لا يعجل على عجلة عبادة.

مثاله في سورة يونس، أخبر سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٣]، ثم في نفس السياق ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ فَنذُرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [يونس: ١١] فالملقود أن العجلة هذه تدلّ على الطيش، الحكمة لا بد أن يكون فيها عدم العجلة، الحكيم هو الذي لا يعجل، ولهذا لما تقرأ في تفسير السعدي في ستة أيام يقول: "ليدل خلقه على التمهل والحكم أخرى"، هذه المهمة جداً أنه لا بد أن يعرف العباد أن أمر الله على مهل، فحتى في حكمك على الأشياء لا بد أن يكون فيه عدم الاستعجال.

وهذه الصفة عدم العجلة كما اتفقنا تدلّ على الحكمة، وبها يسترشد الإنسان في حياته فلا يستعجل في الحكم على الخلق، ولا يستعجل في الحكم على الأحوال، ولا على نفسه، ولا على عمله، ولا على

الناس الذين هم حوله، ولا على ولاية الأمر، ولا على المواقف حتى تتبين؛ لأننا عشنا سوياً العجلة في الفرح، العجلة في الحزن، ورأينا فرحنا بشيء لا يستحق الفرح، حزننا والله عز وجل كشف عنا الشر، ففي النهاية العجلة ليست سمة المؤمنين بل سماتهم أنهم لا يغضبون ولا يتعجلون.

والشيخ لأنه في عجلة من أمره حيث ذكر هذه السمات في اجتماع كبير وقال هذه الكلمة وهي "سمات المؤمنين عند الفتن والمصائب"، بمعنى نأتى إلى كل أصل ونجمع عليه أدلة الابتعاد عن الغضب والاستعجال، فبالنسبة لنا نجمع عليه أدلة ونشرها، المؤمن لا يستعجل، المؤمن لا يغضب، الغضب المنهي عنه ليس في شؤونك الخاصة فقط إنما الغضب المنهي عنه في جميع الشؤون خصوصاً لو كان شأن الأمة، نحن دائماً لما ننهي عن الغضب لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عنه وقال لا تغضب ثلاثاً، كل تفكيرنا على مواقفنا التي تخصنا، وما نظن أن الغضب أيضاً يتحول إلى القواد، وهم لما يأتون ويعبرون يقولون هذا آثار غضب الشعب! لكن نقول: إن الغضب لا يأتي بخير، نحن نُهينا عن الغضب، أمرنا بحبس النفس وبضبطها.

كذلك صفة الاستعجال، نبحت عن الأدلة التي تنهى عن الاستعجال ونشرها بين الناس، وأن العجلة هذه من الشيطان، وأن الشيطان يلقيها في قلب العبد، وأنه ما يأتي بخير سواء في شأن أنفسهم أو في شأن غيرهم.

إذن الفائدة الأولى: أن ننشر السمة الأولى، لكن نشرها عن طريق الأدلة.

تأتي السمة الثانية من سمات المؤمنين وهي :

### التأني في الفتيا ودفعها الى أهلها.

ويخاطب بهذا التأني طلبة العلم خاصة؛ لأن كثير منهم يظنون أنفسهم عندما جمعوا أدوات العلم أنه يحق لهم أن يفتوا، ويأتيك واحد يحكي في العلم يقول لك أنا رأيت! فنقول مثل هذه المسألة التي فيها دماء، مسألة فيها أحوال المسلمين ليس لأحد أن يتكلم فيها بل يدفعها إلى غيره.

ماذا سنفعل هنا في التأني في الفتيا؟ أيضاً نأتي بأدلة وينفعكم في ذلك "رسالة التعامل للشيخ بكر أبو زيد" رحمه الله، لأن في رسالة التعامل كلام كثير حول التسرع في الفتيا والتعامل.



## السمة الثالثة : هي الرفق والأناة والحلم.

وهذا الرفق والأناة والحلم قُصد به أن المؤمن الآن في وقت الأزمة في وقت الفتنة يكون رقيقاً بنفسه، ورقيقاً بالناس الذين حوله، والله أعلم الرفق بالنفس: عدم إرهاقها بالتفكير في شيء خارج عن إرادتها، خارج عن قدرتها، فكن رقيقاً بنفسك واطلب لها النجاة، وطلب النجاة في الفتن أنك لا تتكلم بما لا يعينك، الكلام فيما لا يعني هذا نوع من أنواع الظلم للنفس.

إذن أولاً الرفق بأنفسنا ثم الرفق بالناس حولنا، الناس الذين حولنا منهم من عنده حماس، منهم من عنده حالة من التشبث برأيه، عندهم مشاعر أنه صواب وأن غيره خطأ، مثل هؤلاء يحتاجون أن تكون بهم رقيقاً، لا تستعجل عليهم، الرفق بالناس حتى لو خالفوك الرأي، ومخالفة الرأي متوقع جداً في مثل هذه الأحوال، فكن رقيقاً بهم، انصحهم، عظمهم، هم سيهاجموك، سيقولون ما عندك إحساس، أنت منفصل عن العالم، قل لهم أنا عندي سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأقول لكم النبي صلى الله عليه وسلم ماذا قال في مثل هذه الأحوال ورد في الحديث ((ادْخُلُوا بُيُوتَكُمْ ، وَأَخْمِلُوا ذِكْرَكُمْ))<sup>1</sup>، لا تذكر ولا تُذكر ولا أي شيء.

وفي كلام جميل للدكتور عبد الرزاق، نقل فيه في رسالة للشيخ عبد الرزاق البدر يتكلم في الفتن، ونقل عن أحد الصحابة تصويره للفتنة وحال الناس فيها، لما جاءت فتنة عثمان رضي الله عنه، تعرّب سعد ابن أبي وقاص، تعرّب يعني خرج إلى الأعراب، أخذ له شياه وأصبح يرعاهم بعيد عن المدينة والأحداث! وكان له كلام طويل في الفتنة والموقف فيها.

نقل الشيخ عبد الرزاق كلام عنه في وصف الفتنة والناس فيها، فقال: الفتنة مثل قوم خرجوا إلى الهجير -إلى صحراء رملية- سائرين في طريقهم، فثارت عليهم عاصفة، الآن لا يستطيعون أن يروا ولا يهتدون سبيلاً، فقوم اختاروا أن يسيروا تجاه اليمين فَضَلُّوا، وقوم اختاروا أن يسيروا في اتجاه اليسار فَضَلُّوا، وقوم جلسوا في مكانهم قالوا تنكشف فترى ففسير، من الذي نحى؟ الذي بقي مكانه، هكذا نُحِلُّ المشكلة وأنه علينا أن نكون في حال من الأناة، لا تستعجل، عاصفة لا نرى ما وراءها، الآن لا ترى لكن سيأتي الحال الذي ترى فيه الحقيقة.

<sup>1</sup> المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، قال ابن حجر إسناده حسن.

وعلى كل حال كان فيما يتداول بين أهل العلم "الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم، وإذا أدبرت عرفها كل جاهل"، أنت لكي تعرف مقدار علمك انظر لمقدار رفقك وتأنيك؛ رفقك بنفسك ورفقك بالناس، التأيي في مواقفك وأمرك الناس أن يتأنوا. ويأتي بعدها الحلم، هذه كلها صفات متصلة ببعضها، الحلم في التعامل مع الناس، الآن في هذا الموقف ترى عقولهم لا تدرك أن السنة عليك أن تحمد ذكرك، لا تدرك أن العبادة هي المطلوبة، عامل الناس بهدوء وبحلم، احفظ من النصوص، احفظ من أحوال البلاد، احفظ من التاريخ، بحيث أن هذه القواعد التي يجب أن يعامل الناس بها الفتنة تتسرب إلى نفوسهم رويداً رويداً، لا تعتمد أبداً أن هؤلاء طلابك وقد درسوا وتعلموا وعرفوا منهج السنة لأنك أحياناً تجد ردود فعل وكلمات لا تتصور من هؤلاء، فالفتنة تفتن الناس.

والمشكلة أحياناً اتصالحهم بالحدث، يعني مثلاً افترضني أن هناك طالبات من دولة (س) يدرسن معك منهج أهل السنة والجماعة، ودولة (س) صارت فيها الأحداث، وكانوا سابقاً ماشيات معك ويتكلمن ويتعلمن ويحفظن ويسمعن ويدرسن وكل شيء، لما صار الحدث في (س) أصبحن ينظرن للمسألة بصورة مختلفة، وبدأن يشككن في النصوص وأن المسألة ليست كذلك وأن هذا كان المفروض أن يُزال وكيف لما أزيل هذا الظلم عنا تأتون تقولون كان المفروض ألا يصير!، نحن نتكلم في بداية الأحداث، زال (س) أو (ص) أو (ع) فرحوا بزواله لكن هذه مخالفة للسنة!، كانت ردود فعلهم -بسبب نشوة الحدث- أنهم في غاية من السعادة، وسقطت النصوص!، لما خمدت هذه الفقاعة ابتدأت تظهر الحقائق، أنت الآن يلزمك أن تكون ذا حلم وأنت تعاملهم.

افترض أن الحدث الآن لا في (س) لكن في (ص)، (ص) حصل عليه حدث، طلاب يدرسون، الآن أصبحوا يتكلمون بكلام مخالف، بهدوء أكلمهم، ولا أتركهم لأنهم تركوا السنة.

هل تبيّن كيف يجب أن تكون مشاعرنا تجاه الموقف؟

الحلم والأناة هذا يستلزم منك أنك تقول أنا أقول لكم الحق حتى لو اهتمتوني، لأنهم سيتهموك طبعاً، أنت لا تعرف تنصر الأمة أو بارد أو سلبي لأنك عايش في الأمان ولا تشعر بالمسلمين ماذا حصل لهم وكل هذا الكلام، فأنت كن حليماً رقيقاً ذا أناة في التعامل مع الفتنة نفسها وفي التعامل مع الناس المفتونين.

فتخيلي الآن تفتحي الجوال تجدي على الواتس آب ممكن يوصل للناس الذين لهم علاقات يوصل بالألف رسالة وكلها مشاعر وإثارات، تشعري أنك في وسط بحر خضم كل الناس على المخالفة، لا بأس

الألف هؤلاء يترسال لهم رسالة واحدة، وإن حصلت المهاجمة، هم على طول يهاجموك أنك غير متصل بالعالم، لازم في وسط هذه الأحداث الحلم والأناة، تتوقع أن يردوا هكذا، وأنت تظلي تدافعي عن السنة، لا تدافعي عن رأي لنفسك أنت تدافعي عن السنة، والله عز وجل أراهم بعيونهم الحق لكن أسأل الله أن يبصرنا.

### السمة الرابعة : اجتماع الكلمة عند الفتن.

يعني عند الفتن تحمد ذكرك وتجتمع مع أهل السنة في بذل الجهد في تعليم الناس، لابد أن تعرفوا أن زمن الفتنة هو زمن العلم، فكل الذين برزوا من العلماء بعد القرون المفضلة ما برزوا إلا في زمن فتنة من أشهرهم ابن تيمية، من أشهرهم الإمام أحمد، ما برزوا هؤلاء إلا في زمن فتنة، حتى في الأندلس العلماء الذين كان لهم سيط وظل سيطهم كان في وقت أزمت الأندلس، فزمن الفتنة هو زمن العلم، والسبب؟ أن الناس يكونوا بحاجة أكثر للعلم، والذي يكون عنده حلم ورفق وأناة وشفقة يعرف أن هؤلاء ما ينقدهم إلا أن يعظموا الله ويعظموا كتاب الله ويعظموا نبيهم.

فبدل ما تشتغلوا عن دينكم اشتغلوا بدينكم، الأحداث ملخصها "اشتغلوا عن دينكم!"، خصوصاً وأنتم تلاحظون استغلاهم للمواسم لماذا هذا التاريخ عنوة من عند الجُمع إلى استقبال رمضان إلى كما ذكرنا أمس الحج يستخدموه للثورات؟ لأن هي أصلاً القصة إشغال الناس عن دينهم، وإن كانت الخطة إشغال عن دينهم فالرد اشتغال الناس بدينهم؛ تجمعهم على قال الله وقال رسوله الذي ما في خلاف، أسأل الله أن يعمر بلادنا وبلاد المسلمين بالأمن والإيمان، وهذا مسجدكم الذي يجتمعوا فيه الناس، آية من كتاب الله تشرحونها بين المغرب والعشاء، ما بين التراويح وخروج الناس، آية من كتاب الله عن الأنبياء عن المرسلين عن من صبر، يكون لكم مقاصد في اختيار الآيات، أنتم لا تربطهم إلا بكلام الله وكلام رسوله، وإذا دب إلى قلوبهم كلام الله وكلام رسوله أصبحوا ما هم مشتغلين بالدينا، أصبحوا يرجون لقاء الله، ومن يرجو لقاء الله لابد أن يفلح، لكن قلة الديانة والتقوى هو زيت النار الذي يكون في الفتنة، التقوى لما تبث في نفوس الناس يتوقف الناس عن مثل هذا الهرج.

### السمة الخامسة : السمع والطاعة لولاة الأمر.

والسمع والطاعة لولاة الأمر المقصود به تتميم الاجتماع، يعني اجتماع الكلمة عند الفتن بحيث أجمع الناس على القرآن -على الدين-، ثم النوع الثاني من الاجتماع اجتماع الناس على ولي أمرهم، لا أكون في زمن الفتنة مُحرض، ولا أكون في زمن الفتنة أزيد الطين بلة بأن أشهر منكرات تحصل، لأن تكون فيه

أمور مدفونة يفعلها ولي الأمر أقوم أبرزها! ولا مقاطع مثلاً تصوير في أحداث أن هذا فعل في تاريخ ماضي، الآن أيان كان من تولى ما أن يتولى بالقوة أو بالاختيار في كل الحالتين هو تولى، فالمفروض لا يكون فيه أي إثارة على من تولى، ولاه الله، ابتلانا به، الذي ولاه هو الله، الذي ينزع منه الملك هو الله، لكن المهم أن نكون نحن أتقياء.

أحياناً في هذه المواقف يدخل في الأمر شرك، فالخوف المطلق من غير الله مصيبة! يعني يتصور الإنسان أن هذا يستطيع أن يفعل ما شاء وقتما شاء كيفما شاء! أصبحت له السلطة التامة! ليس لي ملجأ منه ولا حامي لي منه، هذا هو شرك الخوف! لكن إن كان عندك مشاعر أن هذا عبد ضعيف إن سلط علي سلط بحكمة الله، وأنا لي ملجأ أستعيد بالله من شره وشر أمثاله وأسأل الله عزوجل أن يحفظني ويحفظ ذريتي وهكذا، في خطر في تعظيم شأن المتسلط، أن الناس يتحولون فيصبحون في حال من الخوف من غير الله، إذن ما المطلوب منا؟ السمع والطاعة لولاة الأمر، أجمع كلمة المسلمين على الكتاب والسنة، ثم ما أتيرهم على ولي الامر أبداً.

لو وجدت امرأة في المسجد عندك كبيرة وتقرأ القرآن ومع الناس ومع الأحداث وتنصحها أن ادعي للمسلمين، ادعي للشباب بالهداية، لا تستهين، وقد قرأنا أمس في كتاب الله ما يشهد أن دورنا في هذه الفتنة هو الدعاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾<sup>١</sup> فما تغيب عنا هذه المفاهيم الأساسية و العبادات التي من أجلها وجدنا في الحياة.

الفتن جزء من أجزاء الحياة، إذا ما فُتتنا بولي الأمر سنفتن بأشخاص أماننا، وإذا ما فُتتنا بأشخاص أماننا بما، نفتن بنقص ولد، فهذه إن كانت فتنة عامة ما دخلنا فيها لكن في النهاية أنت مختبر (ماذا تعبد الله فيها؟! ) فلا تجعلوا المسألة تقتصر بأفعالنا، لازم نتفق ليست القضية أفعالنا إنما أفعال الله، وأنت مطلوب منك أن تعبد الله بما ينبغي.

نحن أمس قرأنا مع بعض ﴿وَإِنْ أَسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾<sup>٢</sup> معناه أنا أمتثل أمر، أنا لا أسير على هوايا، استنصرتني وهو مثلي مسلم أنصره لكن هو مسلم وأنا بيني وبين الذي استنصرتني عليه عهد أتوقف عند العهد، إلى هذه الدرجة نحن نسير على ما أمرنا الله، ليس هين أنك تفعل هذا، أن يكون لك جار وتسمع صوته يناديك وأنت عاهدت الذي

<sup>١</sup> يونس: ٨٤

<sup>٢</sup> الأنفال: ٧٢

اعتدى عليه فتقول أنا لا أقدر أن أعينك لأن الله أمرني أن لا أعينك الآن، إنما عليك أنت أن تفعل أو أبحث عن غيري لم يتفق مع هذا!، المسألة ليست مجرد مشاعر ولا هي مسائل مطلقة، إنما كل شيء فيه قيد وفيه شرط حقيقه، المسألة ليست هينة، ولا يسير على الطريق إلا من عظم الله.

نأتي الآن الى السمة السادسة:

#### السمة السادسة

توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين

إِنَّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً لَا بَدَّ أَنْ تُرْعَى قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١].

فخصَّ أهل العلم عن سائر المؤمنين فقال:

{ وَمِنَ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ } [فاطر: ٢٢٨]. لأنهم حين يتكلمون أو يُعَلِّمُونَ فإنهم ينطلقون من الخشية.

ونحن مأمورون بأن نقتدي بأهل العلم، وأن نرجع إليهم، والذمة تبرأ إذا استفتيت أهل الذكر فأفتوك في ذلك بما يحقق مقاصد الشريعة.

السمة السادسة: توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين، وذكر في مكانتهم في الدين دليلين:

الدليل الأول: في المجادلة قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾  
إذن الذين أوتوا العلم مرتفعين عن الذين آمنوا درجات، السبب؟ ما معهم من علم، إذن إذا رفعهم درجة الواجب علينا احترامهم لهذه الدرجة طاعة لله، ولا يصلح حال الناس إلا إذا كان هناك من يقودهم في دينهم ومن يقودهم في دنياهم، كما ورد في كلام ابن مسعود "إذا تساوا فسدوا"، يعني إذا كان كلهم في علمهم سواء فسدوا، فتساوا في العلم المقصود أنه ما في أحد عندهم عالم، فالله يرفع الذين أوتوا العلم درجة على بقية الناس.

من رحمة الله أن يجعل أحد مرجع للناس في كل زمان وفي كل بلد، وأحياناً يكون مرجع الناس كما في القرون الأولى "لا يفتى وعطاء في الحج"، "لا يفتى ومالك في المدينة"، فالله عزّ وجلّ يرفع بعض العلماء رفعة، عليك أن تزيل من قلبك الحسد وتزيل من قلبك الحقد وتزيل من قلبك مسائل الجاهلية لتسلم لهؤلاء العلماء، لأن فيه أمور تمنع التسليم للعلماء من بين هذه الأمور الحسد، وهذا يقع بين الصغار وطلبة العلم أو طلبة العلم والعلماء الراسخين، فطالب العلم مثلاً يكون سأل هذا الشيخ أو درس عنده ولم يستقم شأنه مع الشيخ أو رد عليه الشيخ رداً جافياً أو أحد جاء سأل الشيخ الكبير أن فلان يقول كذا وكذا في درس من دروسه الشيخ يرد أن هذا كلام باطل، يأتي طالب العلم يحقد على الشيخ فينشر فيمن حوله رفض هذا الراسخ من العلم.

ففي أمراض كثيرة في النفس تجعل الناس يمتنعون عن أخذ كلام العلماء، وهناك من يروج لهذه الأحقاد، من الترويجات في الأحقاد: هذا سعودي هذا مصري، تأتين تدرسين في المملكة وتكلمين أحداً فيقول لك أنت دارسة في المملكة، دارسة في السعودية عند المتشددین مثلاً! فيصبح هذا حاجز بينهم وبين القبول، أو مثلاً يشهروا عن بلد أن أهلها متعصبين، يشهروا عن بلد أن أهلها متسيبين، وهكذا. وهذا طبعاً لا تظنوه إلا من دعاوى المنافقين بل حاصل من الصف، وما يأتي الخروج إلا لما يُعانوا من المنافقين بأميرين :

١. بقطع الصلة بين العلماء وبين الناس، يعني ولاية أمرهم من جهة دينهم ينقطع الصلة بينهم.

٢. وقطع الصلة بين الأمراء والناس، يعني يصير الناس مشاعرهم تجاه ولاية أمرهم في الدنيا حقد لما يشاع عنهم، ويصير مشاعرهم تجاه ولاية أمرهم في الدين حقد، نزع للثقة.

فإذن في الفتنة علينا توقيير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين، ولا تأتي أنت طالب علم وتخرج فتوى لأحد الراسخين في العلم المعروفين برسوخهم وبعدهم عن السياسة وبعدهم عن هذا الخلط الذي تسمعه، وتأتي منه فتوى على خلاف هوك فتطعن فيه، لازم نشر بين الناس احترام العلماء، نفترض أن هذا العالم وقع في خطأ وخصوصاً في مسألة تتصل بهذه الأحداث، نحن الآن سنترك العالم الذي أخطأ ونذهب إلى من نراه راسخاً في العلم واقترب من السنة وعنده أدلته، الناس لازالوا يسألونك فلان يقول كذا، أنت عليك في هذا الموقف أن تقول الأقرب للصواب الأظهر في الأدلة الموافق لسنة النبي صلى الله عليه وسلم قول فلان، دون الطعن فيمن أخطأ؛ لأن الطعن فيمن أخطأ هذا يعكس نفسية غير سوية.

إذن من سمات المؤمن توقير العلماء ومعرفة مكانتهم في الدين، وعرفنا أن الله عزّ وجلّ رفعهم درجة، وأن الله عزّ وجلّ خصّ أهل العلم عن سائر الناس المؤمنين أن فيهم الخشية، ونحن أمرنا بأن نقتضي بأهل العلم بأن نرجع إليهم، وذمتنا تبرأ إذا استفتيناهم وأفتونا بشيء حتى لو كان فتواهم خطأً، فالعلماء يتحملون شأنًا عظيمًا، يكفيهم تحمّل الشأن هذا فلا تفقد فيهم الثقة، لكن عليك أن تعرف من هم العلماء وعليك أن تعرف الراسخين، من أجل أن معرفة العلماء الراسخين تجعلك تميز بين علماء الفتنة وبين العلماء الربانيين.

فليس من الدين الطعن في أهل العلم، وليس من الدين الانتقاص من أقدارهم، بل ذلك من عمل الجاهلية.

الطعن في أهل العلم ليس من الدين ولا الانتقاص من قدر العلماء من عمل الدين إنما هذا من عمل الجاهلية.

والمعنى أن الجاهلية ترفض أن يسيسهم أحد لا في دين ولا في دنيا، إذا خرج عليهم أحد يسيسهم في الدين أو في الدنيا وإذا خرج عليهم أحد يسيسهم في الدين أو في الدنيا، تعجبوا منه ورفضوه وحاربوه لما في نفوسهم من جاهلية.

حتى الكلام عن أهل البدع من قبل أهل السنة لا يكون إلا الحاجة، الطعن في العلماء وطلبة العلم ليس من الدين، ثم أن البدعة تقدّر بقدرها، نحن قرأنا كلام الشيخ السعدي كلام جميل ضابط وضح لنا أن المسألة ليست كما يتصورون الناس، وضع شرطين: قال الشرك والبدعة، والبدعة التي يقصد بها المكفرة أو المفسقة فسقًا أكبرًا، أدنى من ذلك لو حصل فيه خلاف ليس من حقي أفتي الناس، عندي رأي خطأ هو عنده رأي صواب، أنا نظرت للمسألة من عندي ما رأيت الدليل وقررت شيء ليس صحيحًا، هو نظر للدين وقرر شيئًا صحيحًا، لو حطّاني، فهذا واجب عليه يقول هذا الرأي خطأ، أما يتهم علي، فلا يحق له، بيان الخطأ واجب، الهجوم على المخطئ إثم.

من ديننا الرفق والحلم والأناة مع من هو قريب أو يخالفك، أما الروافض من دينهم أن يفسقوا من حولهم.

علاقتي به كإنسان أحترمه، ليس له علاقة برأي قاله وأنا أخالفه فيه، أستطيع أن أقول أن هذا خطأ بدون أن أتعدى عليه كشخص.

المسألة واضحة يسيرة الحمد لله، إلا أنني لازلت أقول لكم في أحيان كثيرة في مسألة الاجتماع في رسالة الشيخ السعدي أن المسألة متصلة أحياناً بالأمر الشخصية، يكون هو مر بتجربة شخصية مع أحد وفيها إفرزات ومطلوب مني أني أتحمّل إفرزاته.

وكما قرأنا في رسالة الشيخ أن تضليل الغير هذا لا يكون إلا للأنبياء، يعني من خالف الأنبياء فقط هو الضال، أما أنا عندي رأي وأنت عندك رأي في مسائل هذا ليس له علاقة، بدعة مكفرة أو مفسقة انتهى الأمر.

وقد قال أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية، وشارح الطحاوية، وجماعة: لم يكن الصحابة يريدون القتال، وإنما وجدوا أنفسهم يتقاتلون بسعي الخوارج فيما بين الأطراف. وعلى الأئمة والخطباء وكل طلاب العلم أن يأخذوا العبرة من قصص السابقين، وأن يقرؤوا التاريخ بعناية تامة.

لماذا أتى بالكلام عن الصحابة؟ يعني هو قبل قال: فليس من الدين الطعن في أهل العلم، وأهل العلم رؤوسهم وأعظمهم صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فليس من الدين الطعن فيهم لكن وقع القتال بينهم؟ كما في شرح الشيخ ابن تيمية في أهل السنة والجماعة الصحابة لم يريدوا القتال إنما وجدوا أنفسهم يتقاتلون بحيلة وفرية من الخوارج كما هو معلوم، فعلى الأئمة والخطباء أن يأخذوا العبرة من قصص السابقين ويعرفوا أن هناك أمور ينجر إليها الفضلاء يتهمون بها وهم منها بريئين.

قال الله جل وعلا في الحث على الاعتبار:

{لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} ليويسف: ١١١.

يعني: في قصص الأنبياء السالفين. وتاريخ الأمم الخالية فيه عبرة.

ومن أعظم العبر أن يُنظر في كيفية حصول القتال بين الصحابة - رضوان الله عليهم - .

كيف حدثت الفتنة وما مبعثها؟

- قتل عثمان رضي عنه كان بسبب النعمة عليه في أمور المال، والولاية التي ولّأها. وقد ثار بسببها الخوارج

فحصل ما حصل.



يعني الولايات التي ولاها عثمان رضي الله عنهم أثاروا عليه بسبب أمور تتصل بالمال والولايات، وقد صار بسببها الخوارج فحصل ما حصل.

وإنما فعلوا ذلك بالتأويل، ولم يكونوا يكرهون الدين، ولكنهم تأولوا، على خلاف منهج الصحابة.

يعني المقصود أن هؤلاء ما اعتبروا كلام أهل العلم الخوارج وكان بينهم الصحابة متوافرين، علي رضي الله عنه وكان في ابن عباس وابن مسعود وابن عمر كان كلهم متوافرين، تركوا هؤلاء كلهم وأصبح عقلهم على ما يقولون هم، تأولوا برغم أنهم لم يكونوا يكرهون الدين، تأولوا تأويل أفسدهم.

والذي حَصَلَ بين عليٍّ ومعاويةَ - رضي الله عنهما - من القتال لم يكن يريدانه.

ودخلت عائشةُ - رضي الله عنها - في ذلك، ولم ترد إلا الصلحَ.

لماذا يضرب هذه الأمثلة كلها؟ كأنه يقول لا تسيء الظنَّ بالعلماء، قد يدخلون في أمور لها ملايسات الله بها عليهم، فلا تتعجّل في الحكم على أهل العلم، يعني يجد الإنسان نفسه أحياناً في مواقف لم يكن مختار أن يكون فيها، يأتي مثلاً عالم من العلماء ويُدعى إلى شيء الناس يرونه منكر، وهو لا يعلم بُعد هذه الدعوة، مثلاً يدعونه إلى حفل زفاف فيه منكرات لم يعرف أن هؤلاء الناس عندهم منكرت، فدخل ووجد عندهم منكرات فدخل سلم على أهله وخرج، فالناس مباشرة سيتهمونه!

كان أحد طلبة العلم يقول مثلاً: لو خرج شيخ وأخذ يتامى إلى أحد الأماكن في النزهة، وطلع ما يسمى ب(التلفريك)، ثم طاح التلفريك ومات، ماذا سيقال عنه؟ سيقولون أن فلاناً مات في حديقة ملهى، سقط من مركب كذا وكذا ومات!

المقصود بالمثل التعجّل في التهمة، وهو أمر موجود، وليس من حقّ أحد أن يتعدّى ظاهر الأمور إلى بواطن النيات، يعني لا نتكلم حتى على ظواهر الأمور إنما أيضاً بواطن النيات! سوء الظن!

إذن علينا أن نحترم العلماء ولا نتعدّى عليهم، وإذا حصل خطأ أقرأ التاريخ، إذا حصل خطأ من العلماء فهذا لا يسقطهم، يتأولوا، أخطأوا، وأحياناً لا يريدون الفتنة إنما دخلوا فيها بصورة لا يقصدونها، إذا كان علي ومعاوية وعائشة دخلوا في هذا وهم الأفاضل فما الرأي فيمن بعدهم؟!.

## السمة السابعة

### الاعتبار والعظة بتاريخ الأمم السابقة

مَنْ قرأ كتب التاريخ وَجَدَ أن الفتنَ إذا ظهرت، فأول ما يلجأ إليه الناسُ الذين اشتبهتْ عليهم الأمورُ، هو أن يطعنوا في أهل العلم، وسارعوا في ذلك، وهذا ما لا يحمدُ.

الذي يقرأ التاريخ يعرف أن المسارعة في الطعن في العلماء هذا أمر قد صاروا عليه فيما سبق وهذا أمر حصل مع الخوارج.

وهذا ما حصلَ من الخوارج مع علماء الصحابة.

وهذا ما حصلَ من أهل البغي لما استُبيحتِ المدينة المنورة، وضربتْ مكة المكرمة بالمنجنيق.. إلى غير ذلك مما حصلَ في أزمنة كثيرة.

هذا في عهد عبدالله ابن الزبير والأحداث التي كان فيها نزاع. التقرير الأول واضح، أنت عليك أن تقرأ التاريخ لترى سميت الناس هؤلاء، أول ما يحصل فتنة في صف كبير من المنافقين، دوره أن يطعن في أهل العلم وسيأتي في الآن معلومة أخرى غير المعلومة هذه.

وقد طفحتْ كُتُبُ الجرح والتعديل في مَنْ يرى السيفَ في الأمة. وهذا ظاهرٌ بيِّنٌ، وأن الذي يرى السيفَ في الأمة يكون من وسيلته أن يطعنَ في مَنْ يرجعُ إليه المسلمونَ كيلا يرجعوا إليه.

الذي يرى السيف في الأمة يرى الدم يرى القتال -قتال المسلمين، قتال أهل القبلة- ماذا يفعل؟ يطعن في العلماء، فأنت ترى في كتب الجرح والتعديل من يرى السيف في الأمة تراها طافحة بطعن هؤلاء على العلماء من أجل أن لا يرجع.

ولا يلزم أن كل مَنْ طعن فإنه يرى السيف، ولكن يُحذر ممن رأى السيف طعن، ولا يلزم أنه مَنْ طعن فإنه يرى السيف، لأنه قد يطعن لتأويل، وقد يطعن لنقص في العلم، ونحو ذلك.

يرى السيف : يعني من الخوارج، والخوارج مبدأهم التكفير، فيرى قتل كل من يكفره .

يعني يحصل طعن في العلماء بسبب أنه يرى السيف، ويحصل طعن بسبب أنه يتأول، ويحصل طعن لأنه عنده جهل ناقص، فالطعن له شؤون ليس كل شؤونه هو أن يرى السيف.

مثال: اتهموا عكرمة مولى ابن عباس أنه يرى السيف في المسلمين، والقول الراجح أنه لا يرى السيف - والله أعلم-، فهذا الذي اتهم بهذه التهمة العلماء يجرحوه، يرونه ليس أهلاً؛ لأنه من شأنه أن يطعن في العلماء، فهو ليس مقبول، كما في الموطأ موطأ الإمام مالك، في أول الموطأ كان يقول: "عن رجل عن ابن عباس"، في آخر الموطأ يقول: "عن عكرمة عن ابن عباس"، السبب أنه استقر له في نهاية الأمر أن عكرمة لا يرى السيف، فالذي يرى السيف يطعنوه مباشرة ولا يقبلوه. لماذا؟! لأن الذي يرى السيف يطعن في العلماء، يكفر الحاكم، والذي يتعامل معه كافر، ومن رضي بالكفر فهو كافر، ومن يشترك في مؤسسات الكافر فهو كافر! ما بقي أحد!!

التكفير شيء خطير خطير فوق المتصور، يستبيح كل شيء، وهو من العلوم التي يجب تداولها في زمن الفتن، (لا يجوز التكفير، التكفير له ضوابط، التكفير يجز المسلمين إلى الدماء..)، وهناك رسائل جميلة في التكفير، من أحسنها ما كتبه الشيخ الفوزان في ضوابط التكفير، تصلح في مواطن النشر.

#### السمة الثامنة

#### عدم الركون إلى الإعلام المفرض

الإعلام الذي وصفه المعترض بغرض بين الناس.

أما الأمر الذي يتعلق بالأحداث المعاصرة فإن الجميع يتابعها

قال لك الأول اتعظ بتاريخ الأمم السابقة، الآن ماذا سنفعل فيما نحن فيه؟

والذي نخشاه أن نأنس بما نسمع، ويكون مصدر هذا الإعلام أصحاب اللوبي العالمي الصهيوني.

يعني الآن الخطر الذي نخافه أن نصبح مثل المسحورين! اللوبي العالمي بإمكانياته الهائلة يوصف الأحداث، ويعطيك أحداث وأنت تصبح متسمم بأفكاره، تأكلها غصب عنك!.  
واللوبي تعبير أجنبي، المقصود به: جماعات الضغط اليهودية في الدول التي يعبرون عنها أنها عظمى، وآثار الضغط في هذه الدول العظمى وإفرازاتها تكون على العالم الإسلامي، هذه معترف فيها في العالم، تملك مال وتملك سلاح، ودولة في داخل دولة، ممكن أن تكون الوجه الآخر للماسونية، المشكلة أنه معترف بها، معترف أن هذا اللوبي الصهيوني.

ومعلوم أن هذا لا يخدم قضايا الأمة، بل يخدم قضايا أعداء الأمة.

متابعة الإعلام لا تخدم قضايا الأمة بل تخدم قضايا أعداء الأمة! لأن هؤلاء يصفوننا بصورة تجعلنا نعيش كما يريدون، تصبح آمالنا هي التي يريدونها هم.

فالتأثر بذلك والركونُ إلى الإعلام، والإقبالُ عليه، وكأنه منقولٌ بالتواتر، أو بنقلِ العدلِ الثقةِ المُصدِّقِ عن مثله. وهذا ليس من منهج العقلاء ولا من طريق الفضلاء.

يعني يقول جاء في التلفزيون أمس هذا الخبر، ما معنى جاء في الأخبار؟ الآن الكلام كله وسائل الضغط، وأنتم تعرفون وسائل الإعلام هذه، أنت تكاد تجزم أنهم يمثلون ويكذبون، يأخذون من الأحداث ما يريدون وليس فقط في الأحداث إنهم حتى يتلاعبون في العقائد مما يذكر الجزيرة الوثائقية، تأتي بأفلام وثائقية من بينها هذه الأفلام (الحج إلى قبر هود في اليمن!)، وطقوس الشرك عنده، على أنهم يتقابلون ويصورون المنطقة عنده، (وهنا وقفة في يوم تسعة شعبان، ويوم عشرة شعبان العيد، وهنا الأسواق تنتعش، وهذا القبر ممتد من داخل المسجد إلى آخره، والحسين في مصر والحسين في العراق!).

برامج مكثفة يغفل عنها، المستمع الكريم أو المتفرج الكريم يتفرج ويستوعب هذا كله على أنه دين وتراث! وهكذا يقولون نبذل جهود أن نحافظ عليه ونطالب الدول أن تحميه وهذا يستسلم.

مثلاً يرون مدائن صالح محاط عليها وممنوع الدخول فيها، يقولون أماكن أثرية والمفروض نتمشى فيها!

والنبي -صلى الله عليه وسلم- قال لأصحابِ الحجْرِ: ((لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ

تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَهُمْ!))<sup>1</sup> فالإعلام يُفسد علينا

تصوّر الواقع الحقيقي، ويفسد علينا عقائدنا، لا بد أن تعرفوا الخطر الحقيقي للإعلام، لا تستسلموا لتوصيفه للأحداث توصيفاً باطلاً، والآن من السهل جداً التلاعب في الوسائل الحديثة.

في أحد اللقطات للروافض يريدوا أن يقولوا أن أهل السنة ضربوهم بكذا وكذا، فالمذيع يتكلم وصوت الطلق ظاهر، ثم يشير للذي أمامه من أسفل أنه خفض الصوت! فبركة بسيطه جدا.

<sup>1</sup> "صحيح مسلم" (كتاب الريه والرقائق)، باب لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، (٧٦٥٥)

ومعلوم أن منهج هذه البلاد هو منهج أهل السنة والجماعة وهذا ما درجت عليه الدعوة التجديدية دعوة الإمام المصلح محمد بن عبد الوهَّاب - رحمه الله ورحم من آواه ومن نصره وأيده - ، وهذه الدعوة لم تقم من فراغ، وإنما أُسست على الفقه في الكتاب والسنة.

فالفقه في هذه الدعوة أن يؤخذ بكلام علمائها ومنهجهم، وهم متواصلون - ولله الحمد - من وقت الإمام المجدد إلى هذا الوقت، نُقله الحاضر من الماضي بفقه وبصيرة.

فلا تتأثر بالإعلام، نحن منهجنا واضح ليس على فراغ، لما يطعنوا هنا أو يطعنوا هنا، لا تستقبل طعناتهم على أنها طعناً في المنهج،

كأن السمة الثامنة باختصار: أن الإعلام المزيف يصنع أفكاراً عدائية للعقيدة التي نحملها، يُشعر الناس أننا بمتابعتنا للسنة قد تخلينا عن واجبنا اتجاه إخواننا بالنصرة، استفزاز المشاعر الذي يتلاعب به الإعلام يجعل التهمة للمنهج، يصير المنهج هو المتهم.

#### السمة التاسعة

#### الالتزام بأمر الإمام في الدعوة إلى الجهاد

يعني من المسائل التي دائماً تأتي في وقت الخروج ووقت الثورات: الدعوة إلى الجهاد، والدعوة إلى الجهاد هذا دين يدين الإنسان به، كالصلاة والصيام والحج، لا بد له من تحقيق شروط، لا بد أن يكون له شروط ليكون الدعوة صحيحة، أنصحكم أن تدرسوا كتاب الجهاد في صحيح البخاري.

إن الجهاد في سبيل الله - جلّ وعلا - لتكون كلمة الله هي العليا أمرٌ نافذ شرعي.

دلّت عليه النصوصُ الكثيرةُ من الكتابِ والسنةِ وأجمعَ عليه سلفُ الأمة، ودوّنَ في كتب العقائد.

نعم نحن لا ننكر هذا الأمر ولا نتهرب منه، الجهاد أمرٌ أمرنا به شرعاً ليس فيه تلاعب.

لكنَّ الجهادَ كغيره من مسائلِ هذا الدين، له شروطٌ، وأركانٌ، وواجباتٌ، وله أحكامٌ تفصيليةٌ فصّلت في كتب الجهادِ وأبوابه، من كُتُبِ الفقه، أو الكتبِ المستقلة.

إذن الجهاد من مسائل الدين له شروط وأركان وواجبات وله أحكام تفصيلية.

فالأمر بالصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر أحكام الشريعة لا يعني أنه ليس لها شروط.

لما أمرنا بالجهاد كما أمرنا بالصلاة والصوم والزكاة، الأمر لا يعني أنك تفعل هذه الأفعال كما تريد أنت! إنما أفعالها على شروطها وواجبتها وإلا لا يكون لها هذا الاسم إذا لم تأتِ بحقوقه، يعني من يصلي على غير القبلة، أو يصلي بدون وضوء، أو يصلي وما استكمل الركعات، هذا نسميه صلى؟ الذي جاهد بدون أن يأتي بالشروط أسميه مجاهد؟ لا أسميه مجاهد أسميه، لو كانت هذه القاعدة ظاهرة لن يتهور الشباب هذا التهور الذي هم فيه.

وإذا كان الأمر كذلك فإن أول أحكام الجهاد وأول شروطه: أن الذي يدعو إلى الجهاد هو ولي الأمر.

الذي يدعو إلى الجهاد لازم يكون ولي أمر المسلمين.

وليس لأحد من الناس أن يفتتوا - يتعدى - على ولي الأمر بالدعوة إلى الجهاد.

وهذا ظاهر بدليله من القرآن والسنة، ومن إجماع أهل السنة والجماعة، ومن كلام أئمة الدعوة رحمهم الله

تعالى. وإجماع أهل السنة والجماعة على أن الجهاد ماضٍ مع كل إمام برّ أو فاجر.

وقولهم: " مع كل إمام " يعني أنه لا بدّ للجهاد من راية تحت إمام يُسْمَعُ له ويطاع، ويكون له الأمر.

يعني لا بد للجهاد من راية تحت إمام يُسْمَعُ له ويطاع، ويكون له الأمر، يعني لا يهمني الإمام هذا

بر أو فاجر، مستقيم أو غير مستقيم، لكن لازم يكون لي إمام في الجهاد، يدعوا للجهاد، علي طاعته

في الجهاد، ما دعى للجهاد، ما تحقق لي الركن الذي عليه يبني الجهاد.

عندي مسألتين :

المسألة الأولى: أن الجهاد ماضي إلى يوم القيامة، الجهاد معتبر عند المسلمين، الجهاد لن نهرب منه،

الجهاد مطلب شرعي، هذا كله واضح، لكن كيف يكون جهاد بدون ولي الأمر؟! لا بد أن يكون له

أركان وشروط، وكيف نقول في وقت الفتنة اخمد ذكرك، لأننا نقول هذه الواقعة التي أنت فيها واقعة

تدخلك في الجهاد لأحد سببين: إما لأنه لا يوجد ولي أمر دعا إلى الجهاد، من ثم لم يتحقق هذا

الشرط.

أو الأمر الثاني: هذا الموقف ليس موقف جهاد عدو، إنما موقف فتنة داخلية، وإذا صارت فتنة داخلية لا يمكن أن أقول أن هذا جهاد. لابد للجهاد من راية تحت إمامٍ يُسْمَعُ له ويطاعُ، ويكونُ له الأمر، وهذا ليس رأيًا، هذه نصوص شرعية التي تحكم علينا.

ومما يدلُّ على ذلك: قولُ جَمْعٍ من مشايخ الدعوة في نصيحةٍ عامةٍ وجَّهوها إلى الناسِ في وقت يُشابهُ هذا الوقت.

منهم الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ اللطيفِ بنِ عبدِ الرحمنِ، والشيخُ سعدُ بنُ حمدِ بنِ عتيقٍ، والشيخُ عبدُ الله العنقريُّ، والشيخُ عمرُ بنُ سليمٍ، والشيخُ محمدُ بنُ إبراهيمٍ.

ذكروا في نصيحتهم بعد سياقِ النصوصِ الدالَّةِ على وجوبِ السمعِ والطاعةِ لوليِّ الأمرِ، قالوا ما نصه:

" وإذا فهم ما تقدم من النصوصِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ وكلامِ العلماءِ المحققينِ في وجوبِ السمعِ والطاعةِ لوليِّ الأمرِ، وتحريمِ منازعتهِ، والخروجِ عليه، أن المصالحَ الدنيويةَ والدنيويةَ لا انتظامَ لها إلا بالإمامةِ والجماعةِ، تبينَ أن الخروجَ عن طاعةِ وليِّ الأمرِ والافتتاتِ عليه بغزوٍ، أو بغيره معصيةٌ ومُشاقَّةٌ لله ورسوله، ومخالفةٌ لما عليه أهلُ السنةِ والجماعةِ"<sup>(١)</sup>

وهذا منهج متكاملٌ يجب علينا أن نرعاها؛ لأنَّ أهلَ العلمِ وولايةَ الأمرِ أدري بما يكونُ بعدَ الإذنِ بالجهاد.

ليس الأمرُ أن تقول: نعم، ولكن ما الذي يكون بعده؟

وليس الأمرُ أن تقول: لا، ولكن ما الذي يكون بعده؟

يعني ليس الأمر فقط أن أقول أجاهد أو لا أجاهد، الأمر ماذا يكون بعد الجهاد؟ أين العدة والعتاد؟ وماهي الخطة؟ وأين الذي يقود؟ وكيف يعودون هؤلاء؟ وإلى من يعودون؟ ومن يأمرهم؟ تفاصيل كثيرة علينا أن نتعلمها ونثق أن الله ما أمر إلا بما يصلح المسلمين، لازم يصير عندنا ثقة أن الدين متكامل ليست مجرد أهواء وشهوات، حتى القتال أحياناً يصبح شهوة، التكفيري هذا يكون عنده شهوة القتال، فالمطلوب أن تتمثل بأمر الشريعة.

وهذا إنما يُراعى فيه درء المفسد، وتحصيل المصالح. كما جاء في الشريعة.

ليس المقصود أن أبقى في رغد من العيش، ليس المقصود أن لا أتعب نفسي، لو المسألة بهذه الصورة فكل هؤلاء الثائرين يفتح لهم الطريق ويقول لهم اذهبوا ماذا سيخسر؟! البلاد والعباد يرتاحوا منكم! لكن

(١) " الدرر السنينة " ( ٧ / ٢٩١ ) .

في الحقيقة ليست هكذا، الحقيقة حفاظاً على هؤلاء، هؤلاء تُعَلَّق دماءهم في عنق ولي الأمر إذا سمح لهم بأن يسيروا في الطريق الذي لم يأمر الشرع بها، ولي الأمر مأمور بالمحافظة واسترعي رعيته، وولي الأمر الديني استرعي رعية، فالاثنين عليهم أن يعتنوا بالرعية، ويأذنون وقت ما يكون الإذن ينفع المسلمين، ولا يأذنون وقت ما يكون الإذن لا ينفع المؤمنين، وهناك فرق بين قتال الدفع -لما الإنسان يريد أن يدفع-، أو أن يخرج لقتال المسلمين وإلى نشر الدين، على حسب الوضع والحال.

### السمة العاشرة

سلامة ألسنتنا من الطعن في الصحابة رضي الله عنهم

إن من عقيدتنا سلامة ألسنتنا من النيل في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأن لا يكون في قلوبنا غلٌ للذين آمنوا.

قال الله عز وجل: {وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ

فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحشر: ١٠].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدِهِمْ ولا نصيفه))<sup>(١)</sup>

قال أبو محمد البربهاري رحمه الله:

" إذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه صاحب هوى،

من يطعن في صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، يُعلم أنه صاحب هوى، لما تنتهي من النصوص سنذكر ما علاقة الصحابة بالفتنة.

لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا ذكراً أصحابي فأمسكوا))<sup>(٢)</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: ((ذروا أصحابي، ولا تقولوا فيهم إلا خيراً))<sup>(٣)</sup> ولا تُحدِّث بشيء من زلهم ولا خبرهم وما غاب عنك علمه، ولا تسمعهُ من أحدٍ يُحدِّث به، -يعني أنت لا تتحدث ولا تسمع من أحد يتحدث- فإنه لا يسلم قلبك إن سمعته...".

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" في (كتاب فضائل أصحاب النبي) (٤ / ١٩٥). و"مسلم" في "صحيحه" في (كتاب فضائل الصحابة - باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم) من حديث أبي سعيد الخدري (٤ / ١٩٦٧) واللفظ لمسلم.

(٢) ذكر في "مجمع الزوائد" (٧ / ٢٠٢) من حديث "عبد الله بن مسعود" رضي عنه . وفيه : ورواه "الطبراني" . . .

(٣) أورده "ابن عساکر" في "تاريخ دمشق" .



ثم قال - رحمه الله - : "ولا تَذَكُرْ أحدا من أمهات المسلمين إلا بخير"<sup>(١)</sup>

ما علاقة الصحابة وموقفنا منهم بالفتن التي يدخل فيها الناس؟ لما يأتي أحد يقول لك أنتم تمنعوننا الخروج لكن الحسين خرج؟! نقول لا تتكلم في الصحابة ولا تحدّث بشيء من زللهم، ولا تسمع من يحدثك فإنه لا يسلم قلبك، وإذا طعنت في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأنت صاحب هوى.

فلا يجعلوا الأحداث التي لا يفهمون كيف حدثت ولا يعرفون تفاصيلها ولا عندهم ملبساتها ولا الدوافع لها، وإنما نقلت أسانيد صحّ بعضها وهو قليل جدا، والنوع الثاني أخطأ في فهمه، والنوع الثالث أكاذيب تاريخية، فإذن ستري غالب ما نُقل فيما شجر بين الصحابة إنما هو أكاذيب، ثم هناك نوع حصل خطأ في فهمه لما نقل، والنوع الثالث وهو قليل وأصحابه يُعذرون لأنهم بشر وقع بينهم خلاف، فإذن لا تتكلم في الصحابة ولا تجعلهم شاهد على شيء أنت لا تعرفه، ولا تستدلّ بأفعالهم على تسهيل الفتنة عليك، لا تسهل على نفسك الفتنة بأن تقول الصحابة فعلوا، يعني نحن نجعل الكلام عن الصحابة وفيما شجر بينهم مثل المحرمات، يقرؤه العالم الفطن، يقرأ ما حدث بين الصحابة بصورة سليمة خالية من الأهواء، يحرر الحقائق التي حصلت.

ولا بد أن نقرأ التاريخ بروية وأن ننظر في مبادئ الأمور، وكيف صارت إلى ما انتهت إليه.

ولهذا لا بد أن نملي أبناءنا عن حكم في الكلام بين ما شجر بين الصحابة، وأن لا يجعل الناس ماشجر بين الصحابة وسيلة إليهم.

أحيانا يسألون: ولي الأمر سمح أن يجاهد بأموالنا؟ مادام سمح، فيجوز، إذا لم يسمح، فلا.

#### الخاتمة

إن الاتفاق على اجتماع الكلمة يحصل به من الاجتماع وتحصيل الدين، وردّ الشرّ ما لا يحصل بالافتراق.

ونحن كنا قد أشبعنا هذا في نقاش رسالة الشيخ السعدي.

<sup>(١)</sup> من "طبقات الخنابلة" (٢/ ٣٥، ٣٦).

وإنَّ تركَ ما يُريبُ الإنسانَ إلى ما لا يريبُهُ أصلُ أصيلٍ كما في واحدٍ من الأحاديث التي عليها مدارُ الدينِ وهو:

((دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك))<sup>(١)</sup>

إذن عندي أمرين من الأصول:

الأول: الاجتماع .

الثاني: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

الآن أنا خطيب، أنا أعامل الناس، أنا أرسل رسائل للناس، أول شيء اجتماع الكلمة وتحصيل الدين مهم، وردّ الافتراق أمر مهم، هذا أولاً. الشيء الثاني دع ما يريبك الى ما لا يريبك.

وعلينا أن نلتزم بتقوى الله جل وعلا في كل حال، وأن نحصرَ على التوازن والحكمة وموافقة الشرع.

هذه ثلاثة أمور: نتقي، نحصر على التوازن، والحكمة، وهذا كله لا يكون إلا بموافقة الشرع، لا تصلك رسالة إثارة تنقلها، لا تصلك رسالة إثارة فتتفاعل معها بمشاعرك ولا تعرف ما الحكم الشرعي في هذه الإثارة، ولا تعرف ما هو دورنا الحقيقي لهذا الموقف، مثلاً (الناس يقتلون في الشارع وأنتم جالسين في بيوتكم! إخوانكم في كذا وكذا يحصل لهم كذا وأنتم تجلسون هنا وتأكلون وتشربون!) أولاً أنت تشاركنا أصلاً في الأكل والشرب، ثانياً: ليس هذا هو الطريق أن نعامل المسلمين، أعامل المسلمين بأن أدلهم كيف يفعلون من أجل أن يساعدون إخوانهم، ما أشعرهم أنكم لستم بشيء، وكما مر معنا أمس أن هناك من حرض المسلمين لدرجة أنه كان يقول: أول خطوة لتحرير القدس هي أن تسقط العاصمة كذا من عواصم العالم الإسلامي! وهي العاصمة الآمنة المستقر أهلها، يعني إذا قتلتم ولي الأمر في هذا المكان هذا سيفتح لكم القدس! ستأخذوا بتروهم لتفتحوها القدس. طبعاً هذا شيء عجيب.

مثلاً: جالس في بريطانيا ويقول أخرج لمكان كذا وكذا وهو جالس هناك، وتصرف عليه بريطانيا، وكيف العقل؟! تكلمني عن الكفار وإخراجهم من جزيرة العرب وأنت جالس عند الكفار يصرفوا عليك؟! فقط تلاعب بعقول الناس، المشكلة الناس الذين يتداولون هذا الأمر، هو يرمي سهم والباقي يصبحون في مقتل ويحولون هذا السهم على بلاد المسلمين.

(١) أخرجه " الترمذي " في " سننه " في (كتاب صفة القيامة) وقال : حسن صحيح برقم (٢٥١٨) . و " النسائي " في " سننه " في (كتاب الأشربة - باب الحث على ترك الشبهات) (٨ / ٣٢٩) . من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما .

المقصود أن نحرص على التقوى والتوازن والحكمة، وهذا كله لا يكون إلا بموافقة الشرع، نكون حكماء نضع الأمور في مواضعها، نتقي الله، نخاف من الله، نخاف أن يقول الشباب كلمات تجعلهم وهم لا يفكرون في حيرة من شأنهم.

وفي أحداث ١٤٢٣هـ في المملكة التي حصلت فيها التفجيرات أول ما حصلت، كان يتكلم أحد طلبة العلم الكبار الذين شبابه هم من خرجوا في التفجيرات، فيقول أنا أحببتهم على مجموعة أسئلة فهم جمعوا في عقلهم هذا المنهج، يقول لما رأيت آثار التفجير ووقوع الدماء والأشلاء تصورت ما بُعد كلامي بالنسبة لهم!

ما كان يتصور أن هكذا سيكون، فلزم سيكون خوف من الله، هؤلاء أنت ترشدكم تقول لهم كلمة تصبح لهم بمثابة الدين، يخرجون عازمين، فلا تستهن بمكانك لهم، ولا تستهن بحماسهم الغير منضبط، لازم نخاف الله، لازم يكون عندنا من التوازن والحكمة الشيء الكثير، وكما اتفقنا أن في وقت الفتنة النبي صلى الله عليه وسلم أرشدنا ماذا نفعل ((عِبَادَةٌ فِي الْهَرَجِ، أَوْ الْفِتْنَةِ كَهَجْرَةِ إِلَيَّ))<sup>١</sup> الناس ما هم محتاجين منا أن نؤسس لهم حياتهم، الناس في النهاية سيدخلون قبورهم وحدهم الذي يؤنسهم في قبورهم هو دورنا في أن نعلمهم. القصة ليست الدنيا.

الخوف من الله، التقوى، حمل هم الكلام، الدين هو المهم، الله عزّ وجلّ ناصر دينه لو فعلنا مثل ما أمرنا الله عزّ وجلّ كما أمر بني اسرائيل وهم في مصر توكلوا ادعوا ربنا لا تجعلنا فتنة إلى أن يخرجنا الله من الأزمة، لكن لا نسير على منهج مخالف لسنة النبي صلى الله عليه وسلم.

على كل حال لما تتأتي الأزمت والفتن تطيش العقول، قليل الحلم في هذه المواقف، كما اتفقنا أمس نُكُونُ قاعدة عند من يأتينا أنه "لا للسياسة في أماكن العلم، لا للسياسة في أماكن الدين" أنا دوري معك أن أعلمك دينك، يقول لك (أنت جبان، أنت ما تريد أن تتكلم، أنت تفصل نفسك عن الواقع..)، كما تريد، أنت تعال تعلم الدين، وخذ ما تريده من غيري، ليس عندي إلا قال الله وقال رسوله وقال الصحابة أولي العرفان. أعلمه عن الله وأسمائه وصفاته، وعندما يقول هذا سيأخذ رزقي، أقول له أن الله هو الرزاق، لما يقول أنا أخاف من هذا، نقول له لا تخف من غير الله، إلى أن يتكون جيل عقيدته سليمة، فالله عزّ وجلّ سيكشف عنا الغمة، المطر من السماء، والنبت في الأرض بإذن الله،

<sup>١</sup> المعجم الكبير للطبراني، قال الألباني: صحيح.

ولا يموت الناس جيعاً أبداً، إلا أن الناس يوهمون أنفسهم أن هناك من يحكم على أرزاقهم ويمنعهم، وهذه بلائات إذا ما كانت في الخارج تكون في الداخل.

وأن نبرئ ذمتنا في موافقة منهج السلف الصالح.

براءة الذمة هنا أن توافق السلف الصالح.

ولا تتأثر فيما إذا لم يوافقك الكثيرون ممن يريدون الحماس

لا تتأثر، ابذل جهدك ترى الأزمة خطيرة والحمد لله أننا علمنا منهج أهل السنة قبل أن ندخل الفتنة، وهذا والله كلما نتذكره نشي على الله ثناء عظيماً أن الله عرفنا ما هو الصواب قبل أن ندخل الفتنة، هذه من عطايا الله، أننا ما كنا نتخبط مع المتخبطين، لكن فضل الله عز وجل علينا.

ولكن لا بد أن تقول ما عليه منهج الأئمة والسلف الصالح؛ لأن في الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح  
نجاهة عند حلول الفتن.

لازم نثق في هذه القضية، أنت لن تنجو إلا إذا سرت على منهج السلف .

والله جل وعلا أسأل أن يوفق الجميع إلى ما فيه رضاه، وأن يخلص قلوبنا من الغش والغل، وأن يجعلنا ممن  
يحقق الموالة للمؤمنين، والمعادة للكافرين، وأن يجعلنا ممن رضي عنه، وأرضى عنه.

المشكلة كلها دائرة حول ماذا؟ هل نحن نوالي المؤمنين؟ هل نخذل المؤمنين؟ هذا أكثر ما يضغط عليه، يقول أنت تارك المؤمنين يتعذبون وأنت نائم؟! نقول الموالة للمؤمنين لها أشكال، ومن أعظمها موالة: أن تطلب الله أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يثبتهم على الدين، وأن يرزقهم خاتمة حسنة؛ لأن الدنيا ليست بشيء، لأن الله عز وجل لما أخبرنا في سورة البروج عن أولئك القوم الذين فتنوا وألقوا في النار ما أخبرنا عنهم أنهم نجوا، إنما أخبرنا بالفتنة التي وقعوا فيها، وكيف أن كانت نهايتها نهاية الفتنة التي وقعوا فيها أنهم ألقوهم في النار، العزيز الحميد سبحانه وتعالى قادر على إنجائهم، لكن كان قدرهم أن ينصروا الدين بموقفهم، هذا الذي صار أن دخلوا النار هذا نصرة للدين، ليس شرط نصرة الدين كما تتصور أنت أنه صورة واحدة!

ثم من قال أن نصرة الدين لازم تكون في حياتك؟! نصرة الدين تكون بالاستقامة على الدين.

ولذلك نختم لقائنا بآيات عظيمة من سورة يونس تُبين لنا تماماً أننا لما ترتبط بالنصرة ترتبط

ارتباطاً صحيحاً كما وصف الله عزّ وجلّ، لا ترتبط بالنصرة على هواك.

سنقرأ خطاباً موجهاً للنبي صلى الله عليه وسلم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا نُرُيْنِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نُوَفِّئُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيِّنَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنُمْ بِهِ ؕ ءَأَلْكَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ ؕ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ يونس: ٤٦-٥٢

﴿وَأَمَّا نُرُيْنِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ يعني بالعذاب.

﴿أَوْ نُوَفِّئُكَ﴾ يعني لا ترى نصرة الدين.

﴿فَالِإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني الدنيا ليست مكان نكتفي فيه في عقاب المذنبين، ممكن يكون على المذنبين عقاب في الدنيا، وممكن لا نرى عقابهم، إذا كان هذا الكلام يخاطب به النبي الذي اتهم أنه سحر واتهم واتهم... وهو منتظر من وعد الله أن ينصره في الدنيا، لكن هنا الأمر واضح ﴿وَأَمَّا نُرُيْنِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نُوَفِّئُكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ يعني أن الله عزّ وجلّ سيجازيهم على ما فعلوا.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

يعني أنت تقول سينتصر هذا المنهج وستكشف الغمة وسيظهر الحق وهم يقولون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

الله يجيب : ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا

يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾

الإجابة مركبة من ثلاثة جمل:

هم يقولون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ متى وعدتم أن لو سرنا على نهج السنة سنتنصر؟

الجواب الأول: ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أنا أبلغكم ما أتى على منهج القرآن والسنة ولا

أعدكم بأي شيء، إنما أقول لكم ما قال الله وقال رسوله، أنا لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً.

الجواب الثاني: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ يعني لا تستعجلوا، كل شيء له أجله المضروب، وأجله المضروب

معناه حبس عنكم العذاب، حبس عنكم العقوبة، أو حبس عنا النصر، أو لم نصر بعد لأن هناك أجل لانتهاه هذه الأحداث، ضرب الله لكل شيء أجل في كتابه، وستمر الأحداث والله عز وجل دبّر الشؤون ثم سترى كيف سينتصر السنة وأهلها.

الجواب الثالث: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ إذا

أتاكم العقاب وأنتم لم تنتفعوا، ماذا ستنتفعوا من تعجيل العذاب عليكم؟ من تعجيل الهزيمة؟

مثلاً أنت تأتي إلى أحد يتشمت في أهل السنة، أو تأتي إلى أحد قد يرى أن عذاب أهل السنة في كل مكان دليل على أنهم ليسوا على المنهج الصحيح، وأنت على يقين أن هذا المنهج الصحيح، متى هذا الوعد؟

الجواب أنا لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً، لكل أمة أجل، ثم قل لي عندما ينزل عليك العذاب الذي وعد الله ماذا يفيدك بالكلام؟! ماذا يفيدك هذا الكلام الذي تستهين به؟! فلا يستدل بتأخير النصرة على بطلان الوعد، انتفع بما رأيت من شواهد الحق واستقيم ولا تستعجل العقوبات، فنحن على ثقة أن الله سينصر أهل الإيمان ثقة يقينية، لكن في الوقت الذي سيختاره الله وأن الله عز وجل جعل لكل شيء

أجل. أنت تصبح أهلاً للوعد لو سرت على الطريق المستقيم، سر على الطريق المستقيم ولا تبالي بمن يستهزأ بك.

وهكذا نتعامل مع الفتنة من نصوص الكتاب، تعاملوا مع الفتنة من نصوص الكتاب، تعاملوا مع المستهزئين من نصوص الكتاب، لا تستفزك أهل الحماسة، قلبك لا بد أن يكون مليء ثقة أن وعد الله سيكون، لكن متى سيكون؟ الله أعلم، أنا لا أملك لنفسي ضرراً ولا نفعاً، أنا أعلم أن الله وعد وأنه لن يخلف وعده.

نحن أمرنا في قوله **((تَسْمَعُ وَتَطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ وَأَخَذَ مَالُكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ))**<sup>١</sup>، أمرنا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: **((إِنَّكُمْ سَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي))**<sup>٢</sup> أمرنا بهذا كله وغيره كثير مما يجعل منهج أهل السنة والجماعة في حال استقامة، وهذه الإستقامة تأتي بخير.

لكن فكروا في الغير وفي الانقلابات وفي الخروج، ما أتت بخير قط، إلا دماء واضطرابات وذهاب بالاقتصاد وذهاب بالأمن وفقدان للشباب وفقدان لثغرات المسلمين، وإذا كان عندي أول ٥٠ % من الأمن أو ٥٠ % من الاستطاعة ذهبت ٥٠ %!

المقصود أن أهل منهج أهل السنة هو منهج العدل الصواب الذي أسأل الله عز وجل أن يسدنا وأن نكون أتقياء ونسير عليه رغم كل الصعوبات التي يواجهها الإنسان والإثارات.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن حُفظوا في الفتن واستقاموا وتقربوا إلى الله بالصبر على منهج أهل السنة والجماعة؛ والحقيقة أن المسألة تحتاج إلى صبر.

<sup>١</sup> "صحيح مسلم" (كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتخاذير الدعاة إلى الكفر، ٤٨٩١)

<sup>٢</sup> "صحيح البخاري" (كتاب الفتن، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً تُنْكِرُونَهَا..٧٠٥٧).